دور المسجد في تنوير و تحرير الفرد المسلم

د.علي محمد الأشموري
أستاذ الفقة القارن المساعد بقسم القرآن وعلومه
بكلية التربية والألسن عمران -جامعة عمران

الملخص

8

بفضل الله وتوفيقه تناولت في هذا البحث المتواضع المعنون (دور المسجد في تنوير وتحرير الفرد المسلم) ذلك أن للمسجد قدسية في قلوب المسلمين يستمد مكانته السامية وشرفه العظيم لنسبته إلى الله كونه رمز الصلة بين العبد وربه عبر أشرف عبادة وأفضلها (الصلاة) التي هي مصدر توجيه المجتمع إيمانياً الذي هو الضمير الحي للإنسان، إضافة إلى أن المسجد يمثل المؤسسة العلمية والاجتماعية والثقافية وبه تصاغ الأفكار المتنورة والمتحررة، وهو المكان الذي يمثل ركائز عظمة الأمة، وهو الحاضن لكل فضيلة عبر تأريخ الإسلام، إلا أنه أصيب بإصابات أوقفت تروسه المتحركة علمياً وعملياً وأحدثت إنقسامات عملت على إختفاء دوره العظيم من الإشعاع المعرفي والتنويري المتحرر من طغيان الإنسان على أخيه الإنسان، إذ أن الحرية في الإسلام لا غنى عنها بل هي فطرة شكلت حقيقة وجوده وجوهره كإنسان مكرم.

وفي هذا البحث دعوة لإحياء دوره المبارك واستعادة مكانته العلمية في ضوء الوحي الإلهي والبعد عن الأسباب التي أفقدته خاصيته الإيمانية مع مراجعة الخطاب الدعوي وإصلاح الفكر الإسلامي وما أصابه من عناء وما لحق بأسلوب أدائه وبمنهجيته من داء والتي كانت سبباً أساسياً لانكسار الدور الحضاري للأمة.

مقدمة : -

الحمد لله واهب النعم ، ومجزل الكرم ، الذي من نعمه أن منَّ على هذه الأمة بأن بعث فيها رسولاً من أنفسهم ، ونزَّل عليه الكتاب ولم يجعله عوجا ، المخاطب للعقول والقلوب المجبورة على الفطرة السوية قال تعالى :{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى *اللَّهِ* عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [يوسف: ١٠٨]والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذي دعا الناس إلى ما يحيي قلوبهم وعقولهم ويمدهم بنور الله الذي يفتح بصائرهم ويذكي قرائحهم ، ويربطهم بالحق وينأئ بهم عن الباطل والضلال ، جزاه الله عنَّا خير ما جزى نبياً عن أمته صلى الله عليه وعلى آله الأبرار وأصحابه الأخيار ومن سار على هديه إلى يوم الدين .

سبب إختيار الموضوع : -

إن الأمة المسلمة هي الأمة الوحيدة تأريخياً التي تشكلت من خلال كتاب (القرآن) تشكلت من خلال عقيدة وفكرة ، الأمر الذي يليق بالإنسان ويرتقي بإنسانية ويمنحه حرية الاختيار لتكونثمرة لتلك العقيدة والفكرة اللتين تأسستا على مهمة حمل الخير للناس كافة تقديساً للمعرفة النابعة من القرآن المجيد لا من الأشخاص .

إلا أن هذه الأمة أصيبت بإصابات أوقفت تروس الحضارة الإنسانية المشتملة على الكتاب العزيز ((القرآن الكريم)) ولعل أهم تلك الإصابات تراجع دور المسجد في الإسلام الذي هو المصدر الأول للإشعاع والتنوير والتحرير للعقل والفكر المسلم والذي تحول للأسف الشديد تدجين المسلم وفقاً للنظرة الحزبية والطائفية والمذهبية التي تفوح بالحقد والشحن والإشاعات فأوصلت الأمة المسلمة إلى هذا الوضع المهين .

ولهذا رأيت أنه من الواجب علي أن أسهم إسهام المقل في هذا الجانب بعد ما كنت من وقت يقارب العقد والنصف من الزمن تمانعني ظروف قاهرة إضطرتني للتأمل للحال الذي وصلنا إليه والتسويف أحياناً أتحين الفرصة للإتيان بالجديد مع تخوف من الحسابات الخاطئة والمسبقة ، إلا أني صممت الدخول ببضاعة مزجاة علها تكون محاولة مع كلل في الذهن واضطراب في الفكر لأسباب أهمها الصراع المستعر في البلد الإسلامي بكامله والذي شل الفكر وأخمد النفوس نظراً لتكاثف الضباب على سبيل الله الواضح بالزيف والتحريف نتيجة للإنقسامات بين مكونات الأمة كل حزب بمالديهم فرحون .

أهمية الموضوع : -

إن رسالة المسجد تعتبر من أهم الرسائل العلمية والثقافية باعتبار أن للمسجد ومنبره قدسية خاصة عند كل المسلمين ، حيث إنهم يأوون إليه ويحتمون به كونه ملاذاً آمناً لكل ضائقة تلم بالفرد المسلم عملاً

بقوله تعالى ((وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)) {سورة الجن/١٨ وقول رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : ((أرحنا بها يا بلال))[1]

وهي جزء من فطرة الإنسان التي هي دعوة الأنبياء سلام الله عليهم ، والتي جاءت لإصلاح واقع مجتمعاتهم وتقويم اعوجاج أقوامهم ، وكانت المساجد والمنابر المصدر الأول للبلاغ المبين المشروط بالحكمة والموعظة الحسنة .

والتي تتطلب عملية كبيرة وشاقة وغاية في الأهمية لا أمراً ساذجاً وعفوياً وإرتجالياً ، كما أنها ليست فهلوة وقدرة على ذلاقة اللسان والتمتع برفع الصوت والقدرة على إثارة الحماس .

إن الدعوة إلى الله علم ومعرفة وسلوك وقدرة على إختيارالمفردات والأدوات الملائمة والمؤثرة.

وقد تميزت دعوة رسول الإسلام الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ببساطة في اللفظ ووضوح في المعنى ويسر في التدين ، ولهذا لم يعهد التأريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قياسي كما فعل محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وآله .

ذلك أنه انطلق من الدليل العقلي والحكمة الخالدة من خلال آيات القرآن الكريم التي هي الوحيدة تستطيع أن تحقق التوازن الروحي والمادي في حياة الإنسان .

وبهذا المنهج المتميز استطاعت الدعوة إسلامية أن تصل إلى عقول الناس ووجدانهم دون صعوبة ، لأنها دعوة عقلية بكل معاني الكلمة ، حيث إن كافة الأدلة والبراهين تشيد أن الإسلام دين يقوم على الاقتناع ، ويستند إلى البرهان في مخاطبة الناس وهذا ما يستدعي من الدعاة وعلماء الأمة المراجعة للخطاب الدعوي وفقاً لسبيل الله المستقيم المتبصر ، ذلك أن وضوح السبيل واستيعاب المنهج بكل ما يتطلبه من الخطط والبرامج لتحقيق الأهداف هو المفصل الأساس في الإنجاز الملائم ومن هنا يمكن أن نتدبر قوله تعالى :(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) يوسف ١٠٨

وأن وضوح المنهج وانضباطه يوازي في أهميته إبصار الهدف والتحقق من مدى قيمته وهو ما سوف يتناوله هذا البحث المتواضع عله يكون مساهمة في هذا الجانب الهام وذلك في تمهيد وثلاثة مباحث وهي : -

- تمهيد : عن واقع الأمة الأليم وغياب دور المسجد .
- المبحث الأول : مفهوم المسجد في الإسلام .
- المبحث الثاني : دور المسجد في تنوير الفرد المسلم .
- المبحث الثالث : دور المسجد في تحرير الفرد المسلم .

([1]) سنن أبي داود \رقم الحديث \ ٤١٧٢

تمهيد: - عن واقع الأمة الأليم وغياب دور المسجد

يعيش العالم الإسلامي اليوم مرحلة من أسوأ مراحله التأريخية ، إن لم تكن أسوأ ما مربه في تأريخية كله فلم تكن الأزمات الماضية تصيب المسلمين كلهم في وقت واحد في بقاع الأرض كما هو الحال هذه المرة ، ولم يكن الذل والهوان والضياع يشمل الأمة الإسلامية كلها كما يشمل هذه المرة .[١]

إن واقع المسلمين اليوم ، واقع مأزوم بكل المقاييس ، ففي داخل كل دولة من دولهم استبداد سياسي ، وفساد اقتصادي ، وتمزق اجتماعي ، وانحطاط أخلاقي ، وأمية ظاهرة ومقنعة ، وانعدام ثقة بين الحاكم والمحكوم ، وبين النخبة والعامة ، وبين الدول خلافات ظاهرة وخفية ، حالت دون تحقيق معنى الأمة ذات الأفق الإنساني الذي يكون شاهداً على الناس بالحق والعدل والخير .[٢]

والذي يؤسف له أن الدين عند المسلمين ، وبعبارة أدق الفكر الديني عند المسلمين أصبح إدعاءات متضاربة بين إسلام تقليدي رسمي وشعبي يوظفه المتنفذون على اختلاف شعاراتهم وتوجهاتهم ، ويستعملونه أداة لمشروعهم يساعدهم في ذلك علماء البلاط ينسجون لهم كل فتوى تفرض على الأمة الصبر والطاعة على ولي الأمر مهما فسد وتجبر ، وإسلام حوزات وأربطة همهما أيضاً تدجين الفرد المسلم على المرابطة عند قبور الأولياء وآخر استغراق الوقت في الزيارات للأئمة ـ الله المستعان ـ وإسلام عصري نخبوي تتوزع على تبنية فئات متضاربة من أقصى درجات الافراط إلى أقصى درجات التفريط والذي أصبح يشكل عبئاً على المسلمين في علاقات بعضهم ببعض ، وعبئاً عليهم في علاقاتهم بالآخرين .[٣]

لقد حدثت انحرافات كثيرة في حياة المسلمين في مسيرتهم الطويلة خلال التأريخ دون أن تكون أدنى مراجعة أبداً ، حتى باتت أي محاولة للنقد والمراجعة والتقويم لمسيرة العمل الإسلامي ومواصفات العمل الدعوي ، تحارب وتحاصر وتطارد باسم حماية الإسلام والحيلولة دون النيل منه تارة ، وباسم حماية الصف الدعوي وعدم تبصير الأعداء بمواطن الضعف والخلل والثغرات حتى لا يوجهوا سهامهم إليها تارة أخرى وبذلك تكرست الأخطاء وقدست الذوات وتوقفت عملية النقد والمراجعة والتقويم ، وشكلت الأخطاء والخطايا ألغام اجتماعية في جسم العمل الدعوي أدت إلى إنفجارات مخيفة ومرعبة على مستويات متعددة والتحرك تحت راية قد تكون عمية في كثير من الأحيان خاصة عندما تحرك الانتماءات الضيقة الأمر الذي يزيد الأمة خبالاً وهو ما هو حاصل في زمننا العصيب من تاريخ الأمة .[٤]

---

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح محمد قطب صـ ٧ دار الشروق ط ٦ - ١٩٩١م

(٢) مجلة اسلامية المعرفة صـ ١ العدد ٤٤ – ٢٠٠٦م.

(٣) المرجع السابق بتصرف

(٤) مقدمة كتاب الأمة العدد ٧٦ – ١٤٢١هـ عمر عبيد حسنة هذا العالم والباحث والمحقق الجليل الذي تجد طرحه الإيماني الذي يتحسس حال الأمة الأليم في كل مايكتبه في مقدمة كتاب الأمة والذي أتمنى أن الله يمكنني بأن أتولى جمع تلك المقدمات المفيدة في كتاب واحد بعد استئذانه إن شاء الله

وكل انحراف وقع في حياتهم عن المنهج الرباني كانت له ولاشك عاقبته البطيئة أو السريعة حسب نوع الانحراف، ودرجة تفشيه ، وموقف الأمة منه بحكامها وعلمائها وعامتها .

بل إن الأدهى والأمر أن من مضاعفات الأزمة والمرض في جسد الأمة والتي تتمثل في ذيوع الطائفية والتعصب الحزبي اللذين نجد من يشجع عليها ويدعو لها بعض من ينتظر فيهم العكس ويروجون لهما ولاتباعهما بكل الأسباب والحيل والضغوط والحبائل ويقدمونهما على أنها مظاهر للصحة ومنطلقاً للتقدم ومن على منابر المساجد رغم أثارهما الوخيمة على الأمة في تعميق جراحتها وتمكين أسباب المعاناة والضعف فيها وتمكين الداء والأعداء منها ، ولا ترى إلا حزناً يعتصر قلوب المخلصين لهذا الدين وأهم تلك الأحزان التي تحيط بواقع الحياة الإسلامية المعاصرة وهي كثيرة جداً ، فإنه لا تكاد تقر عينك بما تراه من اتساع للحركة الإسلامية ، وتكاثف الكم الإسلامي نسبياً حتى ترى من خلف تلك الظواهر ما يحزنك ، ويملأ نفسك أسى وحسرة فالإسلاميون مشتتون لا يجمعهم فكر واحد ولا منهج موحد ، ولا ينتظمهم صف معاً لاختلاف أفكارهم ومناهجهم قد وقعوا في الغرق والاختلاف الذي نهى الله عنه وحذر عباده منه فقال : ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ))آل عمران:١٠٥

وكان نتيجة هذا الضعف وهذه الفرقة أن استهان بهم الطغاة ، ورماهم عدوهم عن قوس واحد أصابت منهم الصميم ، وراحت تقطف من خيرة شبابهم ما شاء لها كل بضع سنوات ـ وفي أثناء كتابة هذا التمهيد تدك إسرائيل فلسطين تحديداً غزة العزة بكل أنواع الأسلحة الفتاكة دون أن تجد من الطغاة زعماء العرب موقفاً مشرفاً إلا الكيد الخفي والتآمر المفضوح مع العدو وأيضاً تجد الغالب على الدول الإسلامية بها حروب طاحنة تهدد العباد والبلاد والأحزان تتكاثر والمآسي تتعاظم ـ لم نرَ منهم دعوة النداء للمراجعة لمناهجهم المتعددة المتفرقة وإلى إعادة النظر في خطواتهم المشتته[1]. وصدق قول الله عز وجل ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) الأنفال : ٤٦

وأنا في هذه التمهيد لا يسمح لي الوضع المنهجي الاستقصاء فيما يتعلق بموضوع البحث وإنما يهمني في هذه العجالة أن أنبه إلى ما يجب وضعه بين يدي كل مخلص من علماء الأمة ومفكريها أنه بات من الضروري الترفع عن الانتماءات الضيقة سواء حزبية أو مذهبية أو طائفية والتي جرَّت على الأمة الويلات لقرون عدة ، والذي ظهر جلياً من خلال الواقع الأليم الذي عاشه المسلمون ولا زلنا نعيشه ممزقين مشتتين وكل ما حاول أصحاب الضمائر الحية إخراج الأمة مما هي فيه اُلتف عليها وحولت إلى مسرحية يجعل الأمة مقام النظارة في المسرح لا دور لها فيما يجري على المسرح ، فهو ملهاة وتمثيل لا يعكس شيئاً حقيقياً في كيانها ، وكل ما عليها هو أن تقف منه موقف التفاعل السلبي بالصراخ والهتاف كلما دعت

([1]) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم صـ ٨ ، ٩ محمد العبده – طارق عبد الحليم – دار الأرقم ط ٢ – ١٩٨٦م . وأنظر مفاهيم ينبغي أن تصحح صـ ١١ مرجع سابق .

الحبكة المسرحية إلى شيء من الانفعال ، ولكن ذلك لا يعني في الحقيقة أي دور للأمة فيما يجري على خشبة المسرح بين الممثلين من القيادات السياسية والاجتماعية والفكرية ، ولذلك كلما انتهت مسرحية ، وكلما سقط زعيم وكلما انتهى دور ينفض جمع الأمة وتنصرف على ما كانت فيه كأن لم يعكر صفوها أمر، لنبداء مسرحية جديدة ودورة حلول تقليدية وأجنبية جديدة .[١]

والذي يتألم له أيضاً أنك تجد كل فرقة من تلك الفرق المتفرجة على المسارح السياسية وما أكثرها دون اعتبار قد ألبست الحق بالباطل فأخرجت للناس بدعها وضلالها تحت لافتات إسلامية وفي قوالب إسلامية ليغتربها العامة وتلقى في المساجد ومن على منابرها فيتبعونهم معتقدين أنهم على الكتاب والسنة مقيمون ، ولمذهب السلف الصالح متبعون .

يقول ابن القيم في إغاثة اللهفان بعد كلام عن التحليل للباطل وهو اختصر منه ((.... وإنما غرضه التوصل بها إلى ما هو ممنوع منه ، فجعلها سترة وجنة يتستربها من ارتكب ما نهى عنه فأخرجه في قالب الشرع .....وأخرج أرباب البدع جميعهم بدعهم في قوالب متنوعة بحسب تلك البدع فكل صاحب باطل لا يمكن من ترويج باطله إلا بإخراجه في قالب حق))[٢]

وأخيراً إن من الواضح أن فكر الأمة كما هو قائم يحتاج إلى إصلاح ، كما أن من الواضح أن العناء النفسي للأمة كما هو بناء مختل ، وإذا كان بالإمكان للأفراد والأجيال أن يدركوا ما يقدم لهم من معلومات وفكر جديد ، إلا أن هذا الإدراك هو عملية ذهنية عقلية استظهارية ، تختلف في جوهرها عن عملية البناء والتكوين النفسي ، الذي يأخذ صفاته وملامحه الأساسية في مرحلة الطفولة والمراهقة عند البشر ، أما ما يحدث للعناء النفسي الإنساني بعد ذلك للبالغين في مراحل العمر والتكوين النفسي للفرد ، فإن جل ما يطرأ على البالغ إنما هو تعديل في التوجيهات والغايات يستمد فاعليتها مما يحمله الفرد من طاقة وصفات نقية اكتسبها في مراحل عمره المبكرة ((خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا))[٣] ولهذا أمكن لبدو العرب الأشداء الأحرار الشجعان حين تقبلوا غايات الإسلام ونظامه أن يحققوا في أمد قصير انجازات هائلة كماً وكيفاً[٤]

ولهذا فإن الجيل القادم من أبناء الأمة الإسلامية يتمثل دوره الأساسي في إدراك طبيعة الساحة ، ومواقع العمل وإمكاناته ، وتقديم الفكر الجيد وبناء المحاضن الناشئة ، على المثل والنماذج بالوسائل الصحيحة التي تروي فيهم الصفات الجيدة والإيمان العميق بغايات الإسلام ومقاصده وتشريعاته .

---

(١) أزمة العقل المسلم صـ ٣٥ ، ٣٦ د. عبدالحميد أحمد سليمان الدار العالمية للكتاب الإسلامي ١٩٨١م

(٢) إغاثة اللهفان : ابن القيم ٢ - صـ ٨١.

(٣) صحيح مسلم \رقم\ ٢٥٢٦

(٤) أزمة العقل المسلم صـ ٢١٩ – ٢٢١مرجع سابق

وفي سبيل تحقيق تلك الغاية يجب على مفكري الأمة وعلمائها ومثقفيها أن يستشعروا المسؤولية الكاملة أمام الله وأن يعيدوا الى الفكر والرؤية الإسلامية أصالتها وشموليتها وفطرتها وواقعيتها وتَخَطِي الظروف والتجارب والعثرات التاريخية التي سببت انحراف الفكر والرؤية الإسلامية وتفريغها من محتواها ، وتحويلها إلى شكليات وطقوس وشعارات سرابية لا تنتهي بالأمة على العقود والقرون إلى نتيجة أو جادة وإنما النظر إليها كواقع سلبي فرض على المسلمين وأن يعود للمسجد دوره الرائد في بناء حواضن الأمة ونشأتها والمتمثل في الإشعاع المعرفي النابع من المصدرين الأساسيين .[1]

المبحث الأول

مفهوم المسجد في الإسلام

إن الحديث عن المسجد ودوره في حياة الأمة في زمننا هذا ذو شجون ، ذلك أن رسالة المسجد الحقيقية التي أرادها الله سبحانه وبينها من اصطفاه لتبليغ هديه لخلقه ،قد غيبت بنسبة كبيرة ، إضافة إلى أن غياب الدعوة وأساليب البلاغ المبين للوحي الإلهي ،بناء على ضوء هدايات الوحي الإلهي ،وتجارب ومكتسبات العقل ووعي الأمة بالمنهج النبوي القويم وحسن التعامل معه وامتلاك القدرة على انتاج النماذج المأمولة ، التي تحقق خلود المنهج القادر على حمل أمانة الاستخلاف والعمران ،وإدامة البحث والنظر في ظروف وشروط ميلاد المجتمع الأول المتخرج من مسجد النبوة الذي استوعب منهج الوصول الى التمكين في الأرض وتحقيق مهمة الاستخلاف الإنساني والعمران البشري في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة ومثّل لسبيله هذا بخط مستقيم واضح ، ليقوم بالدور الذي ناطه الله به بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمتمثل ابتداء في إلحاق الرحمة بالناس.[2] قال تعالى :{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }الأنبياء١٠٧

وحكمة تميز شريعة الإسلام بهذه المزية أن أحوال النفوس البشرية مضت عليها عصور وأطوار تهيأت بتطوراتها ؛ لأن تساس بالرحمة وأن تدفع عنها المشقة إلا بمقادير ضرورية لاتقام المصالح بدونها ، فما في الشرائع السالفة من اختلاط الرحمة بالشدة ، وما في شريعة الإسلام من تمحض لم يجرَ من زمن من الأزمان إلا على مقتضى الحكمة ، ولكن الله أسعد هذه الشريعة والذي جاء بها والأمة المتبعة لها

([1]) المرجع السابق وانظر في هذا كله مقدمة كتاب الأمة د. عمر عبيد حسنه العدد ٧٦ – ١٤٢١هـ ، الطائفية آخر ورقة للعالين في الأرض ابراهيم بن علي الوزير صـ ٢٠ –٢٦ دار المناهل بيروت ط ٢ – ٢٠٠٦م ، الصحوة الإسلامية بين اختلاف المشروع والتفرق المذموم د. يوسف القرضاوي صـ ٥، ٦ مؤوسسة الرسالة ط٢ ١٩٩٢م.

([2]) انظر مقدمة كتاب الأمة العدد٧٦ مرجع سابق

بمصادفتها للزمن والطور الذي إقتضت حكمة الله في سياسة البشر أن يكون التشريع لهم تشريع رحمة إلى إنقضاء العالم [1]

فاستوعبت مهمة الدعوة إلى الله واستنقاذ الناس من الإفساد وسفك الدماء والتي هي أشرف المهام وأعظمها أجراً واحسنها قولاً قال تعالى :{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٣٣} وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ }فصلت٣٤ ،٣٣

مبيناً لهم أن الإيمان والتدين ثمرة لقناعة الإنسان، ودليل على حرية اختياره واحترام إرادته وتحقيق كرامته ومخاطبة عقله ،ليأتي الإيمان اختياراً وليس إكراهاً وإجباراً وعنتاً ومصادرة لإرادة الإنسان بل ترويضاً على التخلق بذلك الخلق الكريم وهو أن تكون النفس مصدراً للإحسان ، ولما كانت الأعمال الصالحة تدل على صلاح مثارها أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالدفع بالتي هي أحسن [2]

قال تعالى :{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }البقرة٢٥٦وقال تعالى :{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ{ ٢١} لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ }الغاشية٢١ -٢٢

وقال تعالى على سبيل الاستفهام الاستنكاري :{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ }يونس٩٩ وجعل مهمة الرسالة الدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن والبلاغ المبين قال تعالى :{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }النور٥٤{فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ مَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ }النحل٨٢ أما الإجبار والإكراه والسيطرة والتسلط فأمر يناقض النبوة ويصادم الفطرة .[3]

قال تعالى :{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ }ق٤٥

ذلك أن المسجد يعتبر المؤسسة التعليمية الأولى والمنبر الاعلامي الوحيد في تأريخ الإسلام ، فأنجب رجالاً كانوا بصدق حملة لهذا الدين القويم ، فانتشر خلال فترة وجيزة انتشار الظل ، لأنهم أدركوا قيمة هذا الدين وأهميته لاستنقاذ الأمة من براثن الجهل والتخلف والضياع مقتدية بنبيها الخاتم الذي رسخ قيم الشعور بالمسؤولية ، من الاشفاق على الناس وإلحاق الرحمة بهم ، وتجسيد الأصول النقية للقيم الإسلامية ، من مثل الأخوة والإحسان ، والعدل والتعاون والعفو والرحمة، والإيثار والاحتساب ، والعمل على التضلع بالاختصاص والإبداع ، واستبدال المواجهة بالحوار ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ،

([1]) التحرير والتنوير : ابن عاشور ١٦ -ص ١٦٨الدار التونسية للنشر

([2]) التحرير والتنوير ج٢٥ -ص ٥٨ وانظر التفسير الوسيط : الزحيلي ٣ -٣٤٩٥ التفسير الواضح ٣ -٤٥٩

([3]) ايسر التفاسير بتصرف : للجزائري ص٤٣٢

والمجادلة بالتي هي أحسن والدعوة الى كلمة سواء حتى مع الكافرين ، واقناع الأخرين بأن ذلك كلة ثمرة للتدين وفروضه على الانسان .[1]

حيث إن فطرة الانسان بشكل عام ودوائر الخير في المجتمع هي المجال والموقع الحقيقي والرصيد الحقيقي لدعوة المسلم ، أو المكون الأساس لخطاب الأمة .

فكانت مخرجات المسجد النبوي لشخصيات مدركة أن الدعوة الى الله علم ومعرفة وسلوك وقدرة على اختيار المفردات والادوات الملائمة والمؤثرة ، حتى صار الخطاب الدعوي لمن بعده قدوة صالحة ، فنهضت الأمة وصارت هي حديث الامم لأنها وضعت الأمور بمواضعها ، ووزنتها بموازينها ملتزمة قول الحق سبحانه :{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }النحل١٢٥ وقوله تعالى :{وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً }الإسراء٥٣

وهي عملية كبيرة وغاية في الأهمية متوخية مطابقة الكلام لمقتضى الحال محددةً لهدف الخطاب الدعوي وحال المخاطب وأسلوب الخطاب ومفرداته وموضوع الخطاب متفهمين أن الدعوة وأساليب البلاغ المبين للوحي الإلهي مشروطة بالحكمة والموعظة الحسنة والمدافعة بالتي هي أحسن.[2]

وفي هذا تعظيم شأن الحكمة ذلك أن الحكماء لهم طريقة واحدة في الدعوة إلى الحق مبني على طلب العدل في الأفكار والأخلاق اللتين بهما إصلاح حال الناس واعتقادهم اصلاحاً مستمراً لا يتغير .[3]

فالمسجد في الإسلام له رسالة تربوية كبيرة لبناء المجتمع الاسلامي المتميز ، حيث إن أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما وصل الى المدينة بناء المسجد النبوي الشريف وهو دأب كل الانبياء سلام الله عليهم جميعا، كون المسجد له خصوصية تتعلق بالجانب الذي يتكون من جانب مادي وجانب روحي فطر الانسان عليهما ولايكتمل الانسان كإنسان مكرم على سائر المخلوقات إلا بهما ، وأهم مكون روحي من المكونات الروحية الصلاة التي تشتمل على خصائص واسرار بليغة لا تشاركها فيها أي عبادة اخرى ، فهي عمود الدين ومفتاح الجنة وخير الأعمال ،لأنها حصن حصين لسلوك الانسان والمكونة لرقابة ذاتية عند الفرد تبعده عن الفحشاء والمنكر والبغي ، فإذا تحصن الانسان من اتيان هذه الاشياء صار انساناً صالحاً لنفسه وأسرته ولمجتمعه وهو مصدر لكل الخير.[4]

([1]) انظر في هذا المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التأريخ : د.عبدالله قاسم الوشلي صـ ١٩ -٢٣. مؤسسة الكتب لثقافية ط ١ - ١٩٩٠م

([2]) مقدمة كتاب الأمة العدد ١٤٣\ ١٤٣٢هـ صـ ١٢، ١٣ د. عمر عبد حسنة

([3]) التحرير والتنوير جـ ١٤ صـ ٣٢٧ -٣٣٢تفسير المنار ٣ -٢١٦

([4]) التربية الإسلامية د.علي القاعدي صـ ١١٦ -١١٧ . بدون طبعة

ولذا ألزم الاسلام المسلمين جميعاً بأن تقام هذه الشعيرة بصورة جماعية وهيئات واضحة في مسجد له متطلبات من الطهارة والنظافة ، لأنه يذكر فيه اسم الله ، وحدد لها خمس أوقات بحيث تكون صمام أمان لسلوك الانسان ، وهو ليست مجرد أقوال يلوكها اللسان وحركات تؤديها الجوارح بلا تدبير من عقل ، ولاخشوع من قلب .[١]

ومن المؤكد أن رسالة المسجد في الإسلام تتركز في الدرجة الاولى على التربية الروحية التي تكون المنطلق الرئيس لنشاط المسلم في كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية .[٢]

فالمسجد في الاسلام ليس ديراً لرهبنة ولا زاوية للمتعطلين فليس في الإسلام رهبنة ولادروشة ، ورسوله يقول لأبي ذر ((عليك بالجهاد فانه رهبانية أمتي)) [٣]ومدلول الجهاد يشمل كل أنواع الاعمال التي يعتزبها الاسلام والمسلم .

وهو جامعة شعبية تسع الجميع في رحابها ، ولا ترد طالبا أو شيخاً أو صبياً ، ولا تأخذ رسوما ولا تاميناً، ولا تضع عراقيل ولا قيوداً ،تعلم الجميع قواعد الإسلام وعقائده ، وفرائض العبادات ومكارم الاخلاق ومحاسن الآداب وطرائف المعاملات ، وتعقد فيها حلقات العلم بكافة فنونه ، ويأتي هذا التميز للدعوة الإسلامية من النظرة الشمولية للدين الإسلامي ، الذي جاء جامعاً لحياة المسلمين في شتى المجالات ، ذلك أن رسالة المسجد تختلف في وسائلها وأساليبها من وقت لآخر ومن حال إلى حال بحسب المقتضيات والأزمان ولهذا يجب أن يكون الداعية على قدر كبير من العلم والمعرفة والتقوى والخشية من الله سبحانه وتعالى[٤]

المسجد برلمان دائم : -

وأي برلمان كهذا المسجد ونوابه هم {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }التوبة١١٢

المسجد مؤتمر : -

---

(١) العبادة في الإسلام د. يوسف القرضاوي صـ٢١٠ -٢١٣مؤسسة الرسالة ط١١ - ١٩٨٣م وانظر المسجد ونشاطه الاجتماعي صـ ٣٠ -٣٤ مرجع سابق

(٢) تربية الأولاد في الإسلام |عبدالله ناصرعلوان ٢صـ٧٣٢ -٧٣٣ دار السلام مصر ط٣١ - ١٩٩٧م

(٣) صحيح ابن حبان \ رقم الحديث \ ٣٦١

(٤) المدخل الى علم الدعوة : محمد ابو الفتح البياتوني صـ ٢٧٨ مؤسسة الرسالة بيروت ط٣ ١٩٩٥. وانظر المسجد ونشاطه الاجتماعي صـ ٤٤، ٥٢. مرجع سابق

وأي ملتقى كالمسجد يجمع خلاصة الحي في كل صلاة ، وصفوة البلد في كل جمعة ، لكي يتعارفوا فلا يتناكروا ، ويتقاربوا فلا يتباعدوا ، ويتحابوا فلا يتباغضوا ، ويتصافوا فلا يتشاحنوا لأنه قبلة الأرواح التي تعشق الطهارة والتوبة وتزكية النفس.

ولو أن مسلمي اليوم اتخذوا سلفهم أسوة في ذلك لوفروا على أنفسهم نفقات طائلة تضيع في حفلات براقة وغير ذلك . [١]

المسجد للتربية العملية : -

وإن شئت فقل هو حقل تجرب في ساحته تعاليم الدين النظرية ،وتوضع مبادؤه الإنسانية موضع التنفيذ . فقد كان من مزايا هذا الدين الخالد أنه لم يجعل مبادءه فكرة مجردة في الرأس أو كلمة تجري على اللسان ، ولكنه ربطها بحياة المسلم ونظامه اليومي ربطاً لا ينفك عنه .

فكون بذلك إنساناً مكرماً خلقه الله واستخلفه لبناء الحياة بكل مقوماتها ومتطلباتها يبني ولا يهدم .

وتأسيسا على ما سبق يتبين أن رسالة المسجد باعتباره المؤسسة التعليمية الرائدة لبناء الإنسان الذي هو محل التكليف والاستخلاف البناء المتكامل من ذلك الحرية والإخاء والمساواة التي تعتبر حقائق عملية تعلن عن نفسها بلا صوت ولا حرف ولا ضجيج . [٢]

ولهذا اهتم التشريع الإسلامي بالوقف الشرعي الذي انتهى الفقه الشرعي عند غالب فقهاء الأمة على تأسيس نظام الوقف والذي أصبح ضماناً لاستمرار مؤسسة الفقه ودور العبادة والعلم في تأدية الواجبات المنوطة بها لنيل الثواب من الله وفقاً للترغيب فيه قرآناً وسنة وعمل الصحابة والذي صار بشكل مورداً اقتصادياً له أثره العلمي والاجتماعي حتى كثرت الأوقاف فوضع لها أحكتم تفصيلية للوقف بأنواعه المختلفة فكن له الأثر الكبير في إقبال أهل الخير على الأهتمام به خاصة دور العبادة المتمثلة في المسجد لما له من قدسية خاصة . [٣]

ـ من أهداف المسجد في الإسلام : -

١ -الحرية : -

فأي حرية أعز من حرية المصلي في المسجد ، وهو طليق من كل عبودية إلا لله ، وحده يركع ويسجد ، ولوجهه وحده يذل ويخشع ،أما البشر مهما تعاظموا فهم عبيد مثله لا سلطان لهم عليه {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً } الجن١٨تلك هي حرية الضمير الإنساني أولى الحريات وأعمقها.

---

(١) العبادة في الإسلام صـ ٢٢٧ المسجد ونشاطه الاجتماعي صـ ٥٤ ، ٥٦ مرجع سابق

(٢) المرجع السابق

(٣) نظام الإرث والوصايا في الإسلام : أ.د . أحمد فرج حسين ود. محمد كمال الدين صـ ١٨٨ – منشورات الحلبي الحقوقية بيروت ط ٢٠٠٢م

وأما حرية الرأي والنقد فحسبك قول المولى عز وجل لنبيه الأكرم {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً }الكهف١١٠

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((إنما أنا أبن امرأة تأكل القديد)) .[١]

ذلك أن الرأي الحر في التصور الإسلامي له آدابه الشرعية وقيمه الرفيعة التي تضبطه بدءاً من دواعيه ومروراً بموضوعاته ، وانتهاءً بضوابطه ففي التصور الإسلامي تنطلق الكلمة الحرة لا يحكمها إلا ضوابط الخلق والنظام ذلك أن الفرد المسلم المتخرج من مساجد الله يدرك أن ما يلفظ به عليه رقيب و(كراماً كاتبين) فيمتنع من استخدام حرية الرأي على وجهه يسئ إلى الآخرين ، حيث أنه دعامة لجميع ما سنه الإسلام ، ولأنها أيضاً احدى مقومات الشخصية الرئيسية وأساس أي مجتمع إنساني سليم .[٢]

إن هذه القيم والمبادئ هي التي تخلق عند الإنسان الحس الوطني الصادق ، وتوفر المناخ الملائم لتعبئة طاقات المجتمع وبلورة كفاءات نخبوية وإبداعية ، فالحرية لا تعني بأي حال التفلت من القيم ومحاسن العادات والأعراف الاجتماعية ، وإنما تعني استخدام الإرادات والتعامل مع ما ينسجم والمثل العليا والضمير والوجدان.[٣] وهو ما سيتم استيفاءه في المبحث الثالث

٢ -الإخاء: -

أما الإخاء فحسبك أن المسجد يضم أهل الحي في كل يوم خمس مرات ، تتلاصق الأبدان ،وتتعارف فيها الوجوه ،وتتصافح فيها الأيدي ، وتتناجى فيها الألسن ،وتتألف فيها القلوب ،ويلتقون على وحدة الغاية والوسيلة ، وأي وحدة أبلغ وأعمق من وحدة المصلين قي جماعة يصلون خلف رجل واحد ويناجون رباً واحداً هو الله ، ويتلون كتاباً واحداً هو القران ويتجهون إلى قبلة واحدة هي الكعبة ؟

وحدة نفذت إلى الألباب ولم تكتف بالقشور ، وحدة في النظرة والفكرة ، وحدة في الغاية والوجهة ،وحدة في القول والعمل ، وحدة في المخبر والمظهر وحدة يشعرون فيها بروح الآية الكريمة :{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } الحجرات١٠[٤]

إن ذلك الإخاء يشكل فضاءً مفتوحاً لكل الجهود والإمكانات والمكونات لتعبر عن دورها ووظيفتها ومسؤوليتها في إطار وسياق تعميق موجبات وحدة الأمة ، وفتح المجال الفعلي لكل المكونات للمشاركة في

---

(١) ابن ماجه \رقم الحديث \٣٣١٢

(٢) كتاب الأمة العدد ١٢٢ ـ ١٤٢٨هـ صـ ١٥٣ وانظر معالم الثقافة الإسلامية : د. عبدالكريم عثمان . مؤسسة الرسالة صـ ٦٣ - ط١١ - ١٩٨٤م

(٣) الأقليات وجدلية الوحدة والحرية : محمد محفوظ مجلة الكلمة العدد ٣٣|٢٠٠١م صـ٤٤

(٤) العبادة في الإسلام صـ ٢٢٩. مصدر سابق ، الرحيق المختوم – صفي الرحمن المباركفوري – دار الوفاء والصبر صـ ٢٥٣ – ط١١ -٢٠٠٠م

تنمية المصالح المشتركة وربطها بواقع الحياة اليومية ، حتى يتسنى للجهد الفردي والجمعي المبذول يومياً أن يعمق ويجذر أسس تشابك المصالح ووحدة المصير ،فالمثل والمبادئ العامة بحاجة دائمة في الإطار الاجتماعي أن تتسرب إلى تفاصيل الحياة الاجتماعية وتكون جزءاً من النسيج الاجتماعي الذي تربط بين كل أطراف المجتمع الواحد بدوائره المتعددة اجتماعياً و اقتصادياً وإنسانياً بآفاقه الرحبة ، وهذا كله بفضل إخوة الإسلام وسياجه الأخلاقي الذي يحصن أفراد المجتمع وسلوكه من النزاعات النفسية والاجتماعية التي قد تساهم في تدمير الحياة المشتركة .[1]

لذلك نجد أن القران الكريم يؤكد على هذه القيم ، ويعتبرها قادرة على تحويل المواقف وضبط العداوات كمقدمة لإنهائها ، إذ يقول تبارك وتعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } فصلت٣٤.

فالأخلاق الفاضلة والتعامل الحسن والحضاري مع الآخرين يساهم بشكل مباشر في نزع الغل والأحقاد من النفوس وغرس قيم المحبة والاحترام وقال عز من قائل: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } آلعمران١٠٣.

وبإمكاننا أن نشمل هذا السياج الأخلاقي المطلوب بكلمة واحدة وهي (الرحمة)[2]

إذ هي جوهرة المحبة والألفة وضد التنافر والكراهية ، فهي الأصل النفسي والأخلاقي الذي يفيض بالخير بمختلف أبعاده ، قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء١٠٧

وهي الروحية التي تقدر الآخرين وتحترمهم فتحبهم وتشفق عليهم وتتمثل كلمة طيبة حانية ولمسة رقيقة ، وعوناً في الشدائد وحسناً في الجوار ،وما لايحصى من الأقوال والأفعال ، لتنعكس على كل ذرة في هذا الوجود ، وعلى كل شكل من أشكال العلاقة الإنسانية الفرد والجماعة فتكون بذلك أصيلة في النفس بدون ضغط أو تكلف .

وهكذا كان قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذا حياته مع الناس قال تعالى ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))آل عمران : ١٥٩ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[3]ولهذا ماكان من الأعرابي الذي بال

([1]) روح المعاني الجزء ١٣صـ ٣٠٣،٣٢٠بتصرف . وانظر المسجد ونشاطه الاجتماعي صـ ٢١ - ٢٦، صـ ٢٧٨

([2]) زاد المبلغين موسوعة فكرية تعين الخطباء والموجهين محسن عطوي دار التعارف بيروت ١٤٠٩هـ - صـ٤٤٠ مصدر سابق . وانظر ظلال القرآن : سيد قطب ٦ - ٣٣٤٣

([3]) الهيثمي\ مجمع الزوائد \١٨\١

في زاوية من زوايا المسجد النبوي عندما أنكر عليه بعض الصحابه والذي انتقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الأعرابي اللهم ارحمني أنا ومحمد ولا ترحم معنا أحد .

إن الرحمة في المنظور الإسلامي هي أهم صفة وصف الله تعالى بها نفسه وهي ركن في التشريع ، وهي جماع الأخلاق ، وهي التي يجب أن تسود حتى في حال العداء مع الآخر، لأن المسلم المتشبع بالرحمة والمتلقي من الرحيم والمبلغ للرحمة يهمه الوصول إلى الله ورحمته ، وهي مطلوبة مع الحيوان رفقاً بها حية ، وعدم القسوة عليها ذبيحة ، وهي مطلوبة أيضاً مع الجماد عناية وتصرفاً سليماً معه لا هدم فيه ،لأن الفرد تشبع إنسانياً بتجلياتها محبة ورفقاً وشفقة ومساعدة ونصيحة ونحوها ،كما تقف ضد كل تجليات القسوة والشدة والتباغض والتنافر والجريمة والظلم .[1]

فالرحمة بكل تجلياتها وآفاقها ، هي السياج الذي يحفظ الوحدة الاجتماعية من الانزلاق إلى مهاوي الصدام والشقاق .

هذه هي القيم العليا التي تبني الفرد المسلم إن هو التزمها ، وهي سياج تمنع من ممارسة العنف والعسف بحق الآخرين لكونهم اختلفوا معه في الرؤية أو الفكرة ، لأن قيم الدين والعدالة تجبره على احترام الآخرين في ذواتهم وأحوالهم وأعراضهم مهما وجد من اختلاف في الرأي أمام هذه الأخوة والرحمة ، والرحمة والشفقة هما جسر الوصول إلى الأمن الشامل في أي مجتمع ، وهما اللذان يعمقان أسباب الوحدة بكل صورها ومستوياتها ، وهما اللذان يطردان كل نوازع وبواعث التفتت والانقسام بكل صوره .

وإن توكيد حاجتنا اليوم – بعد إن ابتلينا بالمشاريع الضيقة الشخصية – إلى مشروع وطني نجدد به رؤيتنا الوطنية ، ونضيف إليها عناصر جديدة تكون سبيلاً للعطاء النوعي والإبداع المتواصل لصالح وطننا من أجل وطنية سوية سليمة تعمل مع تحديات العصر بعقلية منفتحة تتجاوز من خلالها كل العصبيات والتي فرضت على المسلمين التي حالت دون تطوير مفهوم الانتماء الوطني .[2]

فالإنتماء الوطني ، لا يعني فقط أن أحمل الأوراق الرسمية الثبوتية، كما أنه لا يعني أن أحفظ النشيد الوطني وأقوم بتحية العلم ، وإنما هو قبل كل ذلك شعور عميق بالعيش الواحد مع كل أبناء الوطن ومصير مشترك يربطني معهم ، وهذا الشعور الصادق يدفع بالجميع للعمل بكل إمكانياته وطاقاته وقدراته وتحويله إلى حقائق قائمة على الصعد كافة.[3]

والإسلام بما يشكل من مخزون روحي وقيمي وأخلاقي هو طاقة توحيدية ووحدوية في آن واحد ، حيث إن الدين الإسلامي يحارب التمزقات والتمييز بين البشر على قاعدة جغرافية أو طبقية أو عنصرية .

([1]) في ظلال القران : السيد قطب ٥٠٠،٥٠٣صد زهرة التفاسير ١ج ١٤٧٤صد ، ١٤٧٧صد التحرير والتنوير ج١٦ صد ١٦٨، ١٦٩

([2]) العولمة والوحدة الوطنية : أفكار الزمن قادم : محمد محفوظ مجلة الكلمة العدد ٣٦\٢٠٠٢ صد٣٦ -٣٧.

([3]) مجلة الكلمة العدد ٣٦\٢٠٠٢صد٣٣ -٣٨. مصدر سابق

٣ -المساواة : -

أما المساواة فأي مساواة أوضح من تلك التي نراها في الصفوف المتراصة في المسجد ، الامير الى جانب المأمور والحقير ، والغني بجوار المسكين ، والعالم والمفكر وعن يمينه العامل وعن شماله فلاح ، فليس للمسجد لائحة تخصص الصف الأول للوزراء والصف الثاني للنواب أو موظفي الدرجة الأولى أو كبار مسؤولي الدولة ، وإنما الجميع سواسية كأسنان المشط الواحد.

إن إختيار قبلة واحدة لصلاة المسلمين أريد به أن يكفل وحدة الشعور للجماعة وهيئتها على العموم محقق للإحساس بالمساواة الاجتماعية وتقوي أواصره .[١]

كما أن الدين يخلق الروحية العالية التي تسمح للفكر أن يمارس دوره وللاجتهاد أن يأخذ مداه ، لذلك ينبغي أن لا نضيق سعة الإسلام وتسامحه بضيق تفكيرنا واهتماماتنا ، كما ينبغي أن لا نحول الدين الى طاقة تقسميه وانشقاقية في الأمة والمجتمع ، لأن رسالة الدين الكبرى هي توحيد الأمة ووحدة الناس فلنرق جميعاً إلى قيم الإسلام ونرتفع عن كل التصرفات والقناعات التي تحبسنا وتحجزنا عن رؤية الإسلام الذي يسع العالم كله.[٢]

ويكون الأمن الحقيقي ظاهراً وباطناً كون المسلم مرتبطاً بالإيمان بالله وبما أنزل فلنعلم أن المسجد مؤسسة إيمانية ومأواه هو بالنسبة للمسلمين المؤمنين أمن وأمان عاشه المسلمون الأوائل واقعاً وأحسوا به حقيقة واستمدوه منه توجيهاً وتطبيقاً فتعلقت قلوبهم به ، ذلك أن المسجد ووظائفه إنما هي مصدر أمن للعالم كله لو أنصف مفكروه ، لأن الإسلام جاء لسعادة البشر دنيا وأخرى ، وانما يخيف الظلمة الذين يهربون من تثبيت العدل في الأرض . [٣]

والحديث عن مفهوم المسجد في الإسلام لا يسعه المكان ولا يحيط به الموضوع فهو غيض من فيض،لأن المسجد كان المؤسسة التعليمية لكل فنون العلم ابتداء ، ثم توسع التعليم إلى خارجه حسب ظروف الأزمنة والأمكنة ، إلا أن الذي يؤسف له أن تلك التوسعات والتطورات جاءت عبر مراحل متعددة وبحسب الوضع السياسي الذي حاول حصر الغالب من علماء الأمة في زوايا المساجد يتناكفون فيما بينهم في مسائل خلافية هامشية ، فكان الجهة المغذية لتلك الخلافات ، فتلاشى دور المسجد بعد أن كان مصدر إشعاع لكل فنون العلم والمعرفة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور وإدخالهم في سعة هذا الدين ورحابته وعزته للكائن البشري فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير .

([١]) العبادة في الإسلام صـ٢٣٠ -٢٣١ مصدر سابق

([٢]) مجلة الكلمة العدد٣٦\٢٠٠٢صـ٣٧. مصدر سابق

([٣]) المسجد ونشاطه الاجتماعي صـ ٨٠ -٨١ مرجع سابق

المبحث الثاني

دور المسجد في التنوير والإشعاع المعرفي

التنوير لغة : - هو الإخراج من الظلمة إلى النور ، وقت إسفار الصبح ، يقال قد نور الصبح تنويراً ، والتنوير الإنارة .

والتنوير الإسفار ، وفي حديث مواقيت الصلاة : أنه نور بالفجر أي صلاها وقت استنار الأفق كثيراً ، وفي حديث الإمام علي كرم الله وجهه : نائرات الأحكام ومنيرات الإسلام ، النائرات الواضحات البينات ، والمنيرات كذلك ، فالأولى من نار ، والثانية من أنار لازم ومتعد ، ومنه : ثم أنارها زيد بن ثابت ، يقصد به فرض الجد الذي فرضه عمر –رضي الله عنه - .[1]

من المعلوم أن الجهل ظلمة والمعرفة نور ، فيكون التنوير المقوّم للدعوة توعية تخرج المدعو من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة ،ومعلوم أيضاً أن الإسلام يجعل من فعل ، كائناً ما كان خلقاً يحمد أو يذم ، أو قل يحسن أو يقبح ، فإذا كان الفعل المعرفي على خلاف الرأي السائد ، يعد في الممارسة الإسلامية فعلاً خلقياً مثله في ذلك مثل الفعل السلوكي الصريح ، بدليل إمكان الحكم علية بالحسن أو بالقبح ، فهناك المعرفة التي تجلب الخير ، فتكون حسنة ، وهناك المعرفة التي تجلب الشر فتكون قبيحة ، وعلى هذا يكون التنوير المقوّم للدعوة توعية خلقية صريحة تخرج المدعو من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة .[2]

وهو وراثة النبوة للقيام بأمر الدعوة الى الله ، وهذا الاضطلاع بمهمة البيان تعتبر من اعلى المهام ، وأعظم المسؤوليات ، وأثقل الصناعات ، وأصعب المشاق لمن يدرك أبعادها ويقدر آثارها ، ويستوعب ما يترتب عليه من ثواب ، يقول تعالى :{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } فصلت٣٣ ويستوعب أيضاً ما تتطلبه هذه المهمة من المؤهلات والقدرات ، وتستلزمه من الخصائص وبناء المهارات ، وهذا ما كان عليه أصحاب محمد من التنوير بالمعرفة .[3]

فأنبياء الله جميعاً ، والذين اصطفاهم الله سبحانه لإبلاغ رسالته ، أدركوا عظمة المهمة وما تتطلبه من إعداد واستعداد ، وما يعرض لها من مواجهات {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً }المزمل٥ {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً }الإنسان٢٤

ولقد ألزم الله رسله جميعاً بحمل المسؤولية إلى أقوامهم ، وكانت مهمة شاقة وصعبة ، لأن إصلاح العقول وما تعلق بها من أفكار ليس بالأمر الهين .[4]

([1]) لسان العرب : ابن منظور الجزء١٤ صـ ٣٧٩ – ٣٨٠. دار صادر بيروت ط ٢٠٠٥مـ

([2]) تأملات فلسفية في واقع الدعوة الاسلامية المنطلق مجلة فكرية العدد ٢-٢٠٠١صـ ١٣٨.

([3]) كتاب الأمة : لغة الخطاب الدعوي العدد٤٣ – ١٤٣٢هـ صـ٧- ٨.

([4]) مفاتيح الغيث جـ٣٠ صـ ٦٨٣، ٦٨٤ التحرير والتنوير جـ ٢٩ صـ ٢٦١، ٢٦٢.

وجاءت النبوة الخاتمة بجماع الأمر كله ، وتميز الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بجوامع الكلم ، وليس معنى جوامع الكلم - فيما نرى - القدرة على جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة فقط ، وإنما امتلاك القدرة على الإحاطة بالفضاء المعرفي بأحوال الناس وحالاته وتقبلاته ، واختيار الخطاب الملائم الحكيم المؤثر في شخصيته ، الموافق للهجته ، القادر على

تغيير حاله ، وتحقيق اتصاله وتفاعله وانتقاله من الكفر إلى الإيمان وليس نزول القرآن على سبعة أحرف وقراءاته العشر إلا إشارة ولو ضمنية إلى بعض أبعاد مستلزمات الدعوة واستحقاقها وبعض خصائص النبوة ، محل القدوة في دعوة الناس إلى المقاربة بجوامع الكلم التي كانت من خصائص النبوة الخاتمة.[1]

فكان القرآن معجزته الخالدة ، وكانت وسيلتها البيان والإعلام والبلاغ ، وموضوعها الإنسان ومخاطبة عقله ووعيه ، وكان تحريك عقله وإثارة تفكيره ونظره سبيلاً لإيمانه ، وكان إعجاز وخلود القرآن سبباً لشحذ فكرته وارتقاء وعيه ، وتنمية ملكاته ، وتشكيل رؤيته للحياة والكون ، والإجابة عن أسئلة ما بعد الحياة الفانية.[2]

ولهذا بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أن الدعوة الإسلامية من حيث مفهومها دعوة تنويرية ربانية ، أي دعوة تبلغ النهاية لتصل الإنسان بربه وأنها من حيث انطباقها دعوة عمومية وسلوكية حية ، أي دعوة تبلغ النهاية في وصل الإنسان بالإنسان ،ذلك أن الدعوة الإسلامية لا كسائر الدعوات هي دعوة سلوكية متنورة ، مستمدة من الشرع الإلهي ، دعوة بالحكمة دعوة بالموعظة الحسنة .

والحكمة هي القول العملي المسدد في مقاصده ، والمؤيد في وسائله قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }النحل١٢٥[3]

لذلك أراد الله أن تكون معجزة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معجزة إنسانية عقلية لا يستطيع الإنس والجن الإتيان بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، حيث إن العقل الانساني للانسان هو أداة الادراك والفهم والنظر والتلقي والتمييز والموازنة ، وهو وسيلة الإنسان لأداء مسؤولية الوجود والفعل في عالم الشهادة بما يحقق غاية الوحي ومقاصده وهو الذي يميز بين الخيّر والصحيح والدجل والخرافة والكهانة الكاذبة الفاسدة الضالة بحيث الإنسان أمام المسلك والمصير .[4]

([1]) كتاب الأمة : لغة الخطاب الدعوي العدد ١٤٣ – ١٤٢١هصـ٩.

([2]) كتاب الأمة : دعوة الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد العدد ٧٦ -١٤٢١هصـ ١ -١٣

([3]) المنطلق مجلة فكرية صـ ١٤٠ – ١٤١. مرجع سابق

([4]) راجع التحرير والتنوير جـ١٤صـ ٣٢٦ -٣٣٢.

ولهذا أراد جلَّ شأنه أن تُثبت رسالة نبيه بالحجة البينة والدليل الدامغ عن طريق الدليل اليقيني والاقتناع الصادق ، لأنها متصلة بالعقول والقلوب ، والدين الذي يقوم على هذا الأساس أدعى إلى أن يؤمن الناس جميعاً على كر العصور واختلاف الأمم وتباين اللغات ، لما يتمتع به من إشعاع معرفي متنور .[١]

بحيث أن تكون الرؤية الإسلامية الصحيحة والمنهجية الإسلامية الصحيحة لامجال للإنحرافباسم العقل وللانحرافبإسم الدين ولامجال للإستبدادبإسم الدين والقداساتللإستبداد بتصريف شؤون الأمة على غير قناعة منها ومشورة [٢]

إن تحديد هذه المنطلقات التي كشفت أن محور الرسالة والدعوة اليها ابتداء هو الخطاب النظري المشفوع بالحجة الباهرة والمعجزة الظاهرة ، والسلوك التطبيقي المشفوع أيضاً بالمثالية والتجرد ، قال تعالى :{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً }النساء١٦٥.

فاللسان ركيزة الدعوة الإسلامية ، وهو المسؤول عن النفاذ إلى أعماق القلوب وأغوار النفوس ، وقد يغني عن السيف ولكن لا يغني عنه السيف.[٣]

لأنه سياق ثقافي تنويري ، ونسيج دلالي ينسجم مع أنظمة القراءة وأبنية التفكير ، ذلك أن القرآن ربط بين (القراءة والكرامة) قال تعالى:{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ }العلق٣وأكثر الأمم قراءة هي أكثرها كرامة ، كما ربط بين (العلم والكتابة) التي هي الذاكرة الجمعية لتراكم خبرات البشر عبر العصور {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ }العلق٤ وربط بين ارتقاء الإنسان كيف يتشكل خلقاً من بعد خلق بهذا الشيء الجديد في تأريخ الإنسانية والذي لم يمض عليه أكثر من خمسة آلاف سنة وهي فترة اختراع الكتابة {عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }العلق٥[٤]

ولهذا تدرك لماذا كان البلاغ المبين هو مهمة النبوة الخاتمة ورسالتها الى البشرية ومعجزتها الى الناس في كل زمان ومكان ، ذلك أن تقدم العقل الإنساني أو الرشد الإنساني أظهر أن الكلمة الطيبة لم تفقد قيمتها ، وأن هذه القيمة تتقدم وتتأكد مع تقدم البشرية ،وأن المواجهات المادية والفساد وسفك الدماء دليل الهمجية والتخلف والانتكاس .

لذلك يمكن القول : بأن المعجزة الحقيقة لمرحلة الرشد الإنساني هي المعجزة الفكرية البيانية الاعلامية وأنها تمثل أحد أدلة الخلود ، وأن المعجزات المادية لا تلبث أن تفقد قيمتها وقدرتها على التأثير وتظهر

([١]) حياة محمد : هيكل صـ ٧٢ . مكتبة النهضة المصرية ط١٥ - ١٩٦٨م

([٢]) أزمة العقل المسلم صـ ١٢١مرجع سابق

([٣]) كتاب الأمة العدد ١٤٣ صـ ٢١مصدرسابق انظر االتحرير والتنوير جـ ٦ - ص٤٠، ٤١

([٤]) كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد صـ٢١٤ - ٢١٥ التحرير والتنوير جـ٣٠ صـ ٤٣٩ - ٤٤٢

عجزها عن تجاوز عصرها ، ولئن كانت مناسبة لطفولة البشر وتميزها ومراهقتها ، حين يغيب التحسين المادي أول مدركات العقل ؛ فإن المعجزة الفكرية البلاغية الاعلامية جاءت معجزة الرسالة الخاتمة متلائمة مع مرحلة الرشد الإنساني ، ذلك أن التجريد عن ظروف الزمان والمكان ، والتوليد لكل زمان ومكان والقدرة على التنزيل حسب الظروف والأحوال هي أعلى مدركات العقل الإنساني [١] .

والدين الحق هو الإنسانية الصحيحة والإنسانية الصحيحة هي العقل الضابط للحقيقة المستنيرة بالعلم ، الضائق بالخرافة النافر من الأوهام .[٢]

إلا أن هذا البناء الفكري المستنير بنور الله : قال تعالى : (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُبِمَاتَعْمَلُونَخَبِيرٌ)التغابن ٨

الذي بدأ يشع في أرض الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور تلاشى بعد انقلاب الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض ، وتشوهت الرؤية الكلية الإسلامية للإنسان واستخلافه على الكون لتعميره ، إضافة إلى ما خالط ثقافة المسلمين من آفات وخرافات وشعوذات أوقفت تروس عجلة حضارة الإسلام الكونية ، وشوهت عقليتهم ، وأفسدت معارفهم وممارسات حياتهم ، وأساليب تربيتهم ، وباعدت بينهم وبين ما كانوا عليه من قوة التوكل على الله ، والتزام نهج السنن الإلهية في كل شؤون سعيهم وحياتهم .[٣]

والسبب في هذه الفتنة وسقوط الخلافة الراشدة ، وتغير القاعدة السياسية التي ارتكزت عليها القيادة والخلافة بعد انتقال الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى ،وبعد إن كان الأصحاب وجيش الأصحاب وكوادر الأصحاب هم قاعدة دولة الإسلام ، وقام على أكتافهم بتنوير ووعي وتوجيه وإعداد ونضج وتربية ، وفي زحمة الأحداث وتدافعها وما واجهته الدولة الإسلامية من تحد داخلي وخارجي ، فإننا نجد أن المجال قد أفسح واسعاً لتدفق رجال القبائل من الأعراب على ما كانوا عليه في ذلك الوقت من عصبية وجهالة لم تخضع نفوسهم كما خضع له الأصحاب من تربية وتدريب وتوعية ، وتنور بنور المعرفة فتغيرت القاعدة السياسية ، ولم تعد القيم والغايات والمقاصد والمعايير النبوية الإسلامية الخالصة التي تنورت بنور القرآن والهدي المحمدي ، فتحولت من خلافة إلى سلطة غلب عليها طابع القبلية والعصبية والاستئثار والاستبداد .[٤]

---

(١) كتاب الأمة العدد ٧٦ - عمر عبيد حسنة صـ ٣٤، ٣٥ .

(٢) الغزو الثقافي يمتد في فراغنا صـ ١٧ د. محمد الغزالي دار الشروق ط٢ -٢٠٠٥ مـ

(٣) اسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق الجامعة الاسلامية ماليزيا :د. عبدالحميد ابو سليمان صـ ١٢٣ . مجلة اسلامية المعرفة العدد ٢٦ -١٤٢٢هصـ ١٢٣

(٤) أزمة العقل المسلم صـ٤٦

وفي هذا تحذيراً ما رواه حذيفة ابن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((تُعرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ عَرْضَ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ سَوداءُ ، وأيُّ قلبٍ أنْكَرَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ بيضاءُ ، حتى يصيرَ القلبُ أبيضَ مثلَ الصَّفا ، لا تَضُرُّه فِتنةٌ ما دامَتِ السمواتُ والأرضُ ، والآخَرُ أسودَ مُربَدًّا كالكُوزِ مُجَخِّيًا ، لا يَعرِفُ مَعروفًا ، ولا يُنكِرُ مُنكَرًا ، إلا ما أُشْرِبَ من هَواه)) [1]

قال الأمام علي كرم الله وجهه : ((إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع ، وأحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ، ويتولى عليها رجال رجالاً ، على غير دين الله ، فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يُخف على المرتادين ، ولو أن الحق خلص من لبس الباطل ، انقطعت عنه السن المعاندين ، ولكن يؤخذ من هذا شغث ، ومن هذا ضغث ، فيمزجان : فهناك يستولي الشيطان على أوليائه ، وينجو ((إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)) الأنبياء : ١٠١ [2]

وهكذا كانت بداية الانحراف والتباعد عن غايات الإسلام ومفاهيمه الخالصة ومنهجه السليم ، بتغير القاعدة السياسية لتنتهي الأمة إلى قيادة ونظام هو خليط من إسلام وجاهلية وتكبيل العقل وإغلاق الفكر المتنور[3]

لقد مثل هذا الفصام بين القيادة الفكرية والقيادة السياسية التربة الخصبة لأمراض الأمة المتلاحقة والتي جعلتها اليوم تقف فكرياً وماديا مبهورة الأنفاس ، عاجزة ومهددة في صميم وجودها وكيانها أمام التحدي الحضاري الغربي المعاصر الذي انتصب يهددها مادياً ومعنوياً بالسحق والدمار وعزل القيادة الفكرية عن المسؤولية الاجتماعية والعملية ، وهذا بدوره كان العامل الأساس والأهم خلف عجز العقل المسلم وضموره حتى انزوى في أروقة المساجد – المصيطر عليها رقابياً – بين طيات الكتب النظرية والتاريخية التي تعني في جوهرها بأسلوب وصفي ومنهج لغوي في معرفة مرامي وغايات نصوص الكتاب والسنة ومحاولة الحيلولة بين السلطان وأتباعه وبين استعمال هذه النصوص كوسيلة وأداة لتأصيل انحرافاته ، وانتهى الأمر بهذه المعركة الى ما عرف بقفل باب الاجتهاد ، ولم يكن للاجتهاد باب يقفل ولا دار يهدم ، وإنما كان ذلك تعبيراً عما انتهى اليه الأمر من الضمور الذي أصاب الفكر من آثار عدم الالتزام لدى القيادة السياسية وما لحق ذلك من محاولات السلطان السياسي للقهر والاستبداد بتطويع كل شيء تصل إليه يده لخدمة مصالح السلطة وأعوانها وعصبياتها ، مما جعل العلماء ينكفئون على ما

([1]) الألباني – صحيح الجامع – رقم \ ٢٩٦٠

([2]) نهج البلاغة شرحه الأمام الأكبر محمد عبده خرج مصادره الشيخ حسين الأعلمي الطبعة الأولى ١٩٩٣ صـ ١٢٣.

([3]) أزمة العقل المسلم د. عبدالمجيد أبو سليمان صـ ٤٦ – ٤٧.

في أيديهم في صحون المساجد بعيداً عن كل حادث وجديد ، ولا يسمح لهما إلا بما يرضي الحاكم وحاشيته. [١]

حتى وصل الأمر من الخلاف القائم بين أنصار تلك الأنظمة أنهم جعلوا في كل مسجد محرابين ومنبرين وإمامين ويخطبان كل جمعة على منبرين قال ابن كثير معلقاً على هذا الوضع في آخر الدولة الأموية وهذا من عجيب ماوقع وغريب ما اتفق وفضيع ما احدث بسبب الفتنة والهواء والعصبية نسأل من الله السلامة والعافية [٢]

بعد هذا الانفصام بين الفكر التنويري والقيادة السياسية نشأت المدارس الفقهية والفرق الإسلامية وبداء التعصب يدب شيئاً فشيئاً بين تلك المدارس والفرق إلى أن وصل الأمر بتوزيع المساجد فيما بينها وصارت لها حواجز نفسية بين المسلمين نتيجة للتعصب للمذهب أو الطائفة وأخيراً للحزبية التي هي أدهاء وأمر وفي هذا يقول العلامة المجتهد صالح المقبلي ((ولقد كبرت بدعة اخترعوها في المسجد الحرام الذي جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد فشغلوا بقعاً منه بالحجارة عمروها سموها المقامات ثمَّ فرقوا جماعة المسلمين يصلون فيها أربع صلوات في وقت واحد وهذه مفسدة بين المسلمين وحصراً على المذاهب الأربعة)) [٣]

فكانت أداة تستخدمها السلطات لضرب بعضها ببعض حتى وصل الأمر إلى ما هو عليه الآن من فرقة وشتات استغله العدو للإسلام والمسلمين عبر مؤسساته المبثوثة في أرجاء العالم كله ابتداء بالاستشراق ، ثم التبشير إلى الاستعمار إلى عمل الاستعمار إلى تصنيف الإسلام بأنه دين إرهاب بعد أن استغلوا حماس الشباب الذين يريدون تغيير الأوضاع بحماسة أكثر منه بعقلانية ولا ينطلقون من فراغ بل هناك بنى نظرية وجذور عقائدية متراكمة من المدارس والفرق السابق ذكرها لما يتصرفون ، والشباب أكثر جرأة على اقتحام المخاطر لعدم تقديرهم العواقب بما فيها القتل والقتل المضاد ، ولا يمكن أن يلقي احدهم بنفسه في التهلكة لولا وقوعه تحت سيل من أفكار عقدية تحكم قبضتها على وجدان وعقل صاحبها فتوحي له أنه يجاهد في سبيل الله فتطوع له نفسه قتل أخيه فيقتله ، ولكن هل يحل العنف مشكلة المجتمع أم يزيد المشكلة تعقيداً؟ هذا ما ينبغي مراجعته ، وإن العنف يولد عنفا مهما كان جلاء الحجة .[٤]

([١]) أزمة العقل المسلم صـ ٤٨ ـ ٤٩. مصدر سابق

([٢]) البداية والنهاية ابن كثير جـ ١٠ صـ٤٧ دار الكتب العلمية بيروت طبعة ٣ -١٩٨٧م.

([٣]) العلم الشامخ صالح المقبلي صـ ٢٨٦المكتبة اليمنية الطبعة الثانية ١٩٨٥م

([٤]) كيف تفقد الأمة المناعة ضد الإستبداد صـ ٢١٨، ٢١٩ مرجع سابق

قال الغزالي : ((ومن المؤسف أن أناساً من المتكلمين في الإسلام أشبهوا كهنة الديانتين السابقتين في ضيق الأفق وردات النظر ومرض الدوق وغش العرض فكانوا بلاءً على الإسلام وغطاءً على نوره وصداً عن سبيله)).[1]

إننا كعرب ومسلمين لا نستطيع أن نواجه أعداء الأمة وتحدياتها الكبرى ، إلا بتنقية أجوائنا و أوضاعنا من تلك الأمراض والأدران ، التي تربك أحوالنا الداخلية ، وتسعى نحو تفتيتنا وتشتيتنا تحت عناوين ومسميات مختلفة ، كلنا السبب في وجودها .

ولعل هذه المخاطر التي تثيرها تلك العناوين ، هي أخطر بكثير من تحديات الخارج ومؤامراته المتواصلة ، فهي تنخر في الجسم الاجتماعي نخراً ، وتقوض أسس القوة والعزة ببطء وهدوء ، مما يؤدي إلى تأثيرها العظيم دون انتباه الكثير من الناس والمعنيين .[2]قال تعالى {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } الأنفال٤٦ .

ولما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الأراء وهو أمر مرتكز في الفطرة بسط القران الكريم القول فيه ببيان سيء أثاره فجاء بالتقريع في قوله ((وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنّ اللَّهَ مَعَ الصّابِرِينَ)) الانفال/٤٦ فحذرهم أمرين معلومين سوء مغبتهما وهما الفشل وذهاب الريح والفشل هو انحطاط القوة وهو تمثيل لحال المتقاعس .[3]

إن وحدتنا الوطنية والعربية والإسلامية تقتضي منا جميعاً نبذ التعصب ، ومحاربة ثقافة الحقد والضغينة والكراهية ، ذلك أن هذه الثقافة بتأثيراتها ومتولياتها النفسية والسلوكية هي التي تدخلنا نفق الضياع والتردي.

انه لا ريب أن بناء الوعي الاجتماعي وتنويره بثقافة التسامح واحترام اختلاف الرؤى ، هو بإحداث قطيعة حقيقية علي المستويين المعرفي والسلوكي مع ثقافة التعصب والكراهية التي كانت السبب في هزيمتنا وتأخرنا [4]

إن واجب الدعاة والخطاب الدعوي بشكل عام القيام بواجبه الرسالي على نشر الوعي ، وتنوير الفرد المسلم بالوعي العميق والبصيرة التي تعني المعرفة الدقيقة ، على أن يكون الداعية يتحلى بالصدق والإخلاص ، لأن مهمتهم صياغة الضمائر وتنشئة الأخلاق وتوجيه العواطف والمشاعر .

([1]) الغزو الثقافي يمتد في فراغنا : د. محمد الغزالي صـ١٧ دار الشروق ط٢ -٢٠٠٥م

([2]) ثقوب في الوعي الإجتماعي تحديات في عالم متغير:محمد محفوظ صـ ٣٥ \ ٣٧ مجلة الكلمةالعدد ٤٠ \ ١٤٢٤هـ

([3]) التحرير والتنوير جـ ١٠ صـ ٣١

([4]) ثقوب في الوعي الاجتماعي تحديات في عالم متغير صـ ٣٥ -٣٧ مجلة الكلمة العدد ٤٠-١٤٢٤هـ مرجع سابق

إن هذه المهمة دقيقة وعميقة فلابد فيها من مناغاة العواطف ، ولابد فيها من مناجاة الضمائر والمشاعر ، ولابد أن تكون المناجاة في ظلال الإيمان وتحت رعايته ليسري الإيمان والتهذيب من طريق الحب ، ويسري من طريق القدوة ، ويسري من طريق الإشعاع .[١]

وأنجح الدعاة في مهمته وأمكنهم من بلوغ غايته من استطاع أن يتحدث إلى العاطفة بلسان الوجدان ، من استطاع أن يتغلغل إلى هذه الأعماق ، فيوجه بالعمل كما يوجه بالقول وعدته في الوصول إلى هذا المدى هو الإيمان الشامل الذي يطبق أرجاء النفس ويضيء أطرافها ، هو الفكر المؤمن والنفس المؤمنة والضمير المؤمن ، والعاطفة المؤمنة والخلق المؤمن .[٢]

بهذه العدة الأخلاقية والالتزام تمكن الدعاة الرساليون عبر التأريخ من نشر الوعي والفضيلة ، وهذه هي طريقة الإسلام في التربية ، وإن الكلمة الصادقة الملتزمة بالمنهج القويم الإيماني المشع يكون لها أكثر من مدلول ، فالدعوة الى الله لا تشرع بث الحقد والكراهية بل لغة الرحمة والمحبة لأن مجمل رسائل الرسل سلام الله عليهم معللة بمصالح العباد قال الشاطبي : ((هي أن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل))[٣]

والدعاة الذين ينظروا الناس الى سلوكهم المزدوج وأخلاقهم الخشنة والجافة ، هم يسيئون إلى الدين وإلى أنفسهم .

فالإسلام دين الرحمة ولا يجوز أن نعرضه وكأنه دين القتل والتدمير والكراهية .

لقد آن الأوان لنخلص الإسلام من فهمنا القشري والجامد والمشوه له ، لأن هذا الفهم ومتوالياته هو الذي أدخل العالم الإسلامي اليوم في الكثير من المتاهات والتحديات .

فالكلمة الطيبة هي عنوان أقوال المسلم ، والعمل الصالح هو عنوان أعماله وأفعاله.[٤]

خاصة الدعاة الذين هم محل ثقة الناس ، والذي يجب عليهم أن يتقصدوا بدعوتهم الخطاب الدعوي النابع من أهداف ومقاصد الدين الإسلامي الحنيف الذي هو رسالة الأنبياء ومن سار على دربهم من الدعاة والمصلحين لأنهم مصابيح الهدى والنور لإنقاذ الناس من وهدة الضلالة ولقيادة العالم إلى طريق الله المستقيم لكونهم أكثر الناس حرصاً بالناس وأكثرهم بلاء وتضحية حيث إنهم لا تطيب لهم نفس ولا يرتاح لهم ضمير ، حتى يأخذوا بأيدي الآخرين إلى ما فيه سعادتهم وخيرهم .[٥]

---

(١) مفهوم التسامح وقضايا العيش المشترك : محمد محفوظ مجلة الكلمة العدد – ٥٤ – ١٤٢٧هصـ ١٣٧

(٢) إلى الطليعة المؤمنة : محمد أمين زين الدين صـ ٤٥

(٣) الموافقات للشاطبي ٢\ ٦ دار المعرفة بيروت .

(٤) مجلة الكلمة العدد (٣٠)٥٤ – ١٤٢٧هـ صـ ١٣٨ – ١٣٩.

(٥) كتاب الأمة :لغة الخطاب الدعوي العدد ١٤٣ صـ ١٣٦مرجع سابق

ذلك أنه من المشين على أهل الدعوة أن يقيموا الدنيا ولايقعدوها من أجل مسألة خلافية فرعية قليلة الخطر على الأمة وعلى الإسلام فيتنازعون لأجلها ويتخاصمون بسببها وقد يتقاتلون ، بينما الأمر كله متعطل ، والواجب المقطوع به مهمل ، وأهم أبواب الشريعة موصدة ، والقطعية منبوذة والبينات مجهولة .

ومن المشين أيضاً أن تجد بعض خطباء الجمعة يستمرئ الشتم والتفسيق والتضليل بل والتكفير في مسألة خلافية فرعية بكيل الشتائم لبعض رموز الدعوة المخالفة له في الرأي والفكر . [1]

ولهذا نجد أن السلف الصالح كان يتعامل مع الأحكام الفقهية الفرعية من الأمور التي فيها السعة طالما جاءت برواية صحيحة لايتسع المجال لذكرها ومما ذكر في هذا ما ذكره صاحب تيسير العلام شرح عمدة الأحكام حيث قال : ((وقاعدتنا في هذا الباب أصح القواعد ، وهي أن جميع صفات العبادات من الأقوال والأفعال اذا كانت مأثورة أثراً يصح التمسك به لم يكره شيء من ذلك ، بل يشرع ذلك بكله كما قلنا في أنواع صلاة الخوف ونوعين الأذان ونوعين الإقامة شفعها وافرادها وأنواع التشهدات .... إلى أن قال والصواب التنوع في ذلك متابعة للنبي وإحياءً لجميع سننه بعمل هذه مرة وعمل الآخر مرة أخرى ، ففيه تأليف قلوب الأمة واحياء للسنة ومتابعة له صلى الله عليه وآله وسلم)). [2]

وفي هذا قال ابن تمية رحمه الله: ((وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط ، ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا ، لم يبق بين المسلمين عصمة ولا اخوة)). [3]

إن شن الإشاعات الكاذبة من على أفضل منبر إعلامي مقدس يؤسف له لأن الذي يجب من خلاله أصلاً مصدر إشعاع للبناء النفسي والفكري للفرد المسلم ، ذلك أن المنبر الأسبوعي للمسجد حقل مفتوح أمام الأمة وأمام كل جيل يزود النفوس بالقوة والطاقة بالوسائل الصحيحة التي تربي فيهم الصفات الجيدة والإيمان العميق بغاية الإسلام ومقاصده وتشريعاته أما الإشاعة التي تراكمت في أوساط المجتمع الإسلامي شكلت ظاهرة اجتماعية سيئة أسهمت بدرجة كبيرةفي هدم بنية المجتمع وفككت وحدته وصارت مرضاً يستهدف المجتمع ويفتك بالأمة وسلاحاًرهيباً من أشد الحرب النفسية لشل فكر الإنسان وتجعله ينقاد كما ينقاد القطيع من الغنم يردد ما لا يفعله ويحكي ما لا يفهمه ذلك أن الإشاعة سيرت الكثير من الناس حبيس طائفته وحزبه ومذهبه حذر الله منها أشد تحذير قال تعالى ((فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)) المؤمنين : ٥٣ (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) الأنعام ١٥٦. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

([1]) كتاب الأمة العدد٧٦ دعوة الجماهير مكونات الخطاب : ووسائل التسديد د. عبدالله الزبير صد ٩٨، ٩٩.

([2]) تيسر العلام شرح عمدة الأحكام : عبد الله عبدالرحمن آل بسام جـ١ – صد ٣٢٤ – تحقيق محمد صبحي الحلاق مكتبة الإرشاد ط١٩٩٤م.

وانظر أثر الإختلاف في القوواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء :د. مصطفى الخن مؤسسة الرسالة ط ٣ – ١٩٨٣م.

([3]) الفتاوى :ابن تيمية جـ ٢٤ – صد ٧٣

((إن اخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان)) وكان عمر رضي الله عنه يقول (كنا نتحدث أن ما يهلك هذه الأمة كل منافق عليهم اللسان .[١]

إن الإشاعة عملت على زعزعت الثقة المتبادلة والعلاقات الودية بين أفراد المجتمع ، ونمت روح الشك وسيطر القلق والاضطراب والعداء وتكوين التكتلات المتناحرة وخلق الأكاذيب وبالتالي وجد التسلط والاستبداد راحته واستمراره وعمل على تغذية التنازع والتنابز بالألقاب إلى أن وصل الأمر إلى حد الاحتراب والتقاتل بعد خلخلته وزعزعته .[٢]

وهذا الوضع ألحق بالأمةهزائم متلاحقة بات من الواجب الشرعي على علماء الأمة ومفكريها المخلصين المدركين لجسامة المسؤولية كونهم يجب عليهم التوضيح والبيان بضرورة المراجعة للخطاب الدعوي على ضوء الوحي الإلهي كتاب وسنة كون رسالة المسجد رافعة للتفكير ومحرك العقل وأسر القلوب ومفتاح الشخصية الإسلامية بما يمتلك من خصائص ومميزات تقدم لكل إنسان في كل زمان ومكان .[٣]

المبحث الثالث

المسجد مصدر للتحرير

التحرير لغة : هو الإخراج من العبودية إلى الحرية ، ومعلوم أن التعلق بالمخلوق عبودية والتعلق بالخالق حرية ، فيكون التحرير المقوّم للدعوة تعبئة تخرج المدعو من رق العبودية للمخلوق إلى حرية العبادة للخالق ، ومعلوم أيضاً أن الإسلام يجعل من كل حركة ، كائنة ما كانت ، عملاً يصلح أو يفسد ، فإذن حركة التعلق بالشيء ، على خلاف الرأي السائد ، تعد في الممارسة الإسلامية حركة عملية مثلها في ذلك مثل الحركة العضوية الصريحة ، بدليل إمكان الحكم عليها بالصلاح والفساد ، فهناك التعلق الذي يجلب الخير فيكون مصلحاً ، وهناك التعلق الذي يجلب الشر فيكون مفسداً ، وعلى هذا يكون التحرير المقوم للدعوة تعبئة عملية صريحة تخرج المدعو من العبودية للمخلوق إلى عبادة الخالق.[٤]

ولقد بدأت الدعوة الإسلامية بتحرير الوجدان البشري من عبادة أحد غير الله سبحانه ، ومن الخضوع لأحد غير الله ، فما لأحد عليه غير الله من سلطان ، وما من أحد يميته أو يحييه إلا الله ، وما أحد يملك

([١]) مسند أحمد \١\٨٦

([٢]) الاشاعة بمنظور قراني للشيخ محمد علي الحرز صـ ١١٨ مجلة القران القران نور العدد الخامس .

([٣]) كتاب الأمة العدد١٤٣ لغة الخطاب الدعوي د بشير عبدالله المساري صـ ٢١، ٢٩، ١٨١، ١٨٢ . وانظر المقدمة صـ ٢٠ وما بعدها

([٤]) مجلة المنطلق صـ ١٣٩ مرجع سابق

له ضراً ولا نفعاً ، وما من أحد يرزقه من شيء في الأرض ولا في السماء ، وليس بينه وبين الله وسيط ولا شفيع ، والله وحده هو الذي يستطيع ، والكل سواه عبيد ، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً .[١]

قال تعالى :(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ {٤})

وإذا توحد الله توحدت عبادته ، واتجه الجميع إليه فلا عبادة لسواه ، ولا حاكميه لغيره ، كي لا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، ولا يكون لأحد منهم فضل على أحد إلا بعمله وتقواه .[٢]

وهذه الوجهة في التفكير هي التي نزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ ابتعاثه إلى هجرته إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وهي التي جعلته جنوحاً للسلم راغباً عن القتال ، وكان همه توفير الطمأنينة لمن يتبعون رسالته ، حتى يقبل على الإيمان المتردد والخائف والضعيف من بطش أصحاب النفوذ والظهور ، ووصل به الحرص على غير أتباعه أن منحهم حرية العقيدة وكفل لهم ذلك من اليهود والنصارى ومشركي العرب ، كونه يدرك أن الحرية وحدها كفيلة بانتصار الحق ، وبتقدم المجتمع البشري نحو الكمال في وحدته العليا ، وكل حرب على الحرية تمكين للباطل ونشر لجيوش الظلام على جذوة النور المضيئة في النفس الإنسانية ، والتي تصل بينها وبين الكون كله ، من أزله إلى أبده ، صلة اتساق ومحبة ووحدة ، لا صلة نفور وفناء [٣]

لأن الإسلام أراد تحرير الإنسان من فكر المعجزة وإمتيازات الأشخاص جميعاً في أي خانة كانوا ، من عائلة أو حزب أو طائفة أو طبقة أو جنس ، وعمد الى كسر الكهانة والسحرة والعرافين ، لإخراج نموذج جديد للإنسان والمجتمع ، إنسان محرر بعقل غير معتقل ومجتمع توحيدي متجانس بدون طبقات وإمتيازات .[٤]

ولذا ثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مبدأ حرية العقيدة ، باعتبارها أهم الحريات على الإطلاق .

ومن المؤكد أنه بدون حرية المعتقد تبدو الحرية لغواً من الحديث وهذراً من اللفظ .

إن أغلى ما يعتز به المرء هو حرية معتقده ، فإذا حيل بين المرء وبين عقيدته فقد حيل بينه وبين الحرية تماماً ، والإسلام قد ضمن حرية المعتقد والعقيدة لكل الناس ، وضمانته هذه منطلقة من موقفه ضد الإكراه والاضطهاد والتسلط والقهر .[٥]

---

(١) المرجع السابق

(٢) العدالة الاجتماعية سيد قطب صـ ٣٨.

(٣) حياة محمد : هيكل صـ ٢٣٥ مصدر سابق .

(٤) كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الإستبداد صـ ١٦٠،١٦١. رياض الريس للكتب والنشر ط ٢. ٢٠٠٢م

(٥) الفردية : زيد بن علي الوزير صـ ٨٨. مركز التراث والبحوث اليمني ط١ ٢٠٠٠مـ

والإسلام يدرك معنى الإكراه ويدرك معنى الإقناع فرفض الأول رفضاً باتاً واعتنق الثاني اعتناقاً مطلقاً ، ولذلك حرم الإكراه والقهر والغصب ، وأوجب الإقناع والاختيار والحرية ، وهذه القواعد الثلاث هي أجنحة الرسالة العالمية ، وبدونها نقض تلك الأجنحة المحلقة .

ومن المؤكد أيضاً أن الإسلام كان أول من سنَّ مبدأ حرية الأديان عندما جلجل الوحي بالآيات الكريمات :{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ }البقرة٢٥٦{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ }يونس٩٩{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً }الكهف٢٩.

إن منع حرية العقيدة يعرض عالمية الإسلام للإلغاء ، ويأتي على كل فضيلة من الأساس ، ولو اكره الناس وصادر حريتهم لما بقي من رسالته شيئاً ، و لتحولت دعوته الإنسانية إلى قوة ذرائعية غشومة هدفها التوسع والاستغلال شأنها شأن بقية القوى العالمية الغاشمة ، ثم إن الإكراه والقهر يحولان دون انتشار أي فكر مهما تألق في لفظه وتزين في تعابيره .[1]

ولذا كان منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهجاً له غاية واحدة أولاً : هي كفالة حرية العقيدة والرأي ، فلم ينشئ دولة فقط بل أنشأ أمة متآخية تقوم على عقيدة وقواعد أخلاقية ، وقاد جماعته بالشورى ، وأدبها بالأسوة الحسنة ، ووفق إيقاظ الضمير الحي عند الناس ، وهذا الضمير هو الذي سير الجماعة في الخط السليم الذي سارت فيه في عصر النبوة وما تلاها من فترات التزمت هذا الخط .[2]

والذي قدم شواهد رائعة لوعي الصلة بين الإنسان والقرآن كواقع متحقق في التأريخ ، والذي له شواهد نيرة في الوعي التطبيقي ، على عين النبوة السائرة على خط النص وخط معناه ، ودلالته في الفكر والواقع ، كي يظل القرآن الكريم مضيئاً بمعنى الهداية إلى التي هي أقوم .حيث أن النص القرآني يدعو إلى العلم والنظر والفهم والتأويل الهادف من النص ، المتفاعل بينه وبين الواقع ، بالقراءة الواعية العاقلة ، وفعاليتها الدائمة في استخراج المعنى القرآني الذي يتيح للإنسان الاستفادة من معينه من حين إلى آخر من خلال نصه المفتوح على متغيرات الزمن ، لأن الله لم ينزل القرآن لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة .[3]إن الدعوة القرآنية المفتوحة على التبصر والتدبر والتفكر واستعمال الحواس وفق المنهج العقلي المتناغم مع فطرة التوحيد ، تثير الانتباه إلا أن النص القرآني دائم الحركة والتجديد والتحرر ليبلغ بالإنسان نحو الاستقامة التي ستصل بحرارة

([1]) الدولة والسلطة في الإسلام : د.معروفالدواليبي صـ ١٩ وانظر الفردية : صـ ٨٨ مصدر سابق وانظر الثقافة الاسلامية صـ ٦٠ مرجع سابق .وانظر كيف نتعامل مع القرآن : الشيخ محمد الغزالي صـ ٢٠٠ وما بعدها .دار القلم دمشق ط١ -٢٠٠٠م

([2]) دراسات في السيرة النبوية : د. حسين مؤنس صـ ٥٧ .

([3]) جدلية العقل والوحي : حسين شحادة صـ ٩٦ ، مجلة البصائرالعدد٢٥ -١٤٢٢هـ

الكشف والمعرفة نحو أسمى الغايات النبيلة ، التي تمدها ثقافة القرآن بشحنات لا تنتهي من الرؤى الموضوعية بالخطاب الدعوي ، حيث إن داعية لا ينطلق خطابه الدعوي المتحرر من منطلق القرآن ولا يعرض قضاياه عرض القرآن ، ولا يعبر ما يريد إيصاله للناس بذات تعبير القرآن ولا يهتم بما اهتم به القرآن في قدرته في دعوة جماهير الأمة إلى التمسك بكتاب الله فقد جفا خطابه عن منطلقاته وقضاياه وإسلوبه وتعبيره ، وأنى له ذلك .[١] بيد أن المتغيرات التاريخية الكبرى التي حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفترة الخلافة الراشدة التي قتل فيها عمر وعثمان وعلي أدت إلى اختلال في الخط السليم الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانطلق منه الصحابة الأخيار وحول أولئك إلى عظماء التأريخ من ذلك الرجل البدوي ربعي بن عامر الذي يقول بكل ثقة وتحرر لقادة الفرس : جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ، لأنه فهم الإسلام من القرآن فهذا الفهم القرآني من وراء انطلاق الإسلام الأول ، والجزر الذي حصل بعد المد ، إنما حدث من تقلص الفلسفة القرآنية ، والأنظمة القرآنية ، فتراجعت الأمة الإسلامية وانتهت إلى أمم أشبه بالمغول والتتار ، تقاتل بلا فلسفة وبدون وعي ، وانتهى الأمر إلى ما انتهينا إليه ، بسبب شيوع عادات ورؤى ضعيفة جعلت الأمة الإسلامية لا تمثل كتاب ربها الذي نزل .[٢] لقد ترتب على تطورات الأحداث والصراعات السياسية في البلاد الإسلامية والذي عمل على عزل الزعامة الفكرية المتحررة الرسالية عن مجالات الحكم والمسؤولية ، الذي أدى إلى انهيار المؤسسة العلمية الرائدة في بناء الأمة إبتداءً من المسجد الذي كان بمثابة الأرضية الخصبة التي كان تستنبت فيها الأفكار الصالحة حتى عجزت الأمة عن الاستمرار في توليد المعارف وتطوير الأنظمة ، والتي كانت تستجيب للظروف والحاجات والإمكانات المتطورة .[٣] ومما زاد الطين بلة نشوء الفرق الإسلامية والمذاهب الفقهية التي عملت السلطات آنذاك على نشوئها وتغذيتها لكي تكون أداة لاستخدامها لأي ظاهرة صحية تعمل على إعادة امتلاك القدرة بالقرآن للنهوض بالأمة إلى مراقي التقدم والفهم والمعرفة والتربية والإدراك ، وان ما حصل من ارتقاء بالأمة الأمية دليل على أن المعجزة القرآنية إنما تتحقق من خلال عزمات البشروتحرير أفكارهم وهو ما حالت دونه السلطات حتى يومنا هذا .[٤] وقد أدى هذا الوضع الفكري والنفسي الذي حوصر فيه العلماء الرساليون ورجال القيادة الفكرية إلى ضعف النظر الفكري والعملي في المجال الدعوي ورسالة المسجد المباركة ، وموروست كل أعمال التضييق والحصار على تحرير الأفكار وفقاً للمنهج النبوي للحد من قدرته على البلاغ الدعوي الذي يبلغ مقصده الأصلي ، الذي يورثه قيمة معتبرة

---

(١) مقدمة كتاب الأمة العدد١١١ - ١٤٢٧هـ صـ ١١ وما بعدها منهج السياق في فهم النص د. عمر عبد حسنة

(٢) كيف نتعامل مع القرآن :الشيخ الغزالي صـ ٢٢٣ مرجع سابق

(٣) أزمة العقل المسلم بتصرف مرجع سابق صـ ١٩٦، ٢٠٢ ٢١٩، ٢٢٣.

(٤) كتاب الأمة العدد ١١١ - صـ ١١ - ١٢مرجع سابق

في الوجود ، لما لذلك من قدرة على تحرير العباد ، ويتحملها جميع عموم الأمة المسلمة ، وتظهر في سلوكياتهم ، ومعلوم أيضاً أن كل ما يمنع الشيء من الوصول إلى المقصد الذي يتحدد به وجوده يعد ظلماً صريحاً لهذا الشيء ، فيلزم من ذلك أن حصار الدعوة الإسلامية ظلم لا غبار عليه ؛ لأنه اعتداء على المنهج القويم ، وبما أن الظلم يكون على قدر الشيء الذي نزل به بحيث إذا زادت رتبة هذا الشيء زاد ، وإذا نقصت نقص ، فإن ظلم الدعوة الإسلامية يكون قد بلغ النهاية في الظلم ، علماً بأنه لا شيء يعلو على الدعوة الإسلامية لا دلالة ولا إحالة .[1] والذي يؤسف له أنه ليس المقصود با (الحصار الداخلي) حصار الأنظمة الداخلية الحاكمة للداعية فحسب ، بل أيضاً كل أنواع الحصار التي تمارسها عليه مختلف التكتلات المسلمة الموجودة في وطنه بين أحزاب وجمعيات ومنظمات وجماعات ؛ فليس الداعية الرسالي المتحرر طليق الكلمة ولا واسع الحركة ولا مفسوح المجال ، ولا ممنوح الفرصة في كل أصقاع البلاد الإسلامية ؛ فيبلغ التضييق عليه في بعضها من هذا النظام أو ذاك أو من هذا التنظيم أو ذاك مبلغاً عظيماً.[2] لقد عانت شعوبنا الويلات وما زالت تعاني من جراء التعصب وسوء الظن والنزوع الاستبدادي والعقلية المتحجرة التي تساوق بين أفكارها ومشروعاتها وبين الحق والحقيقة ، والتي نشأت بعد الانقلاب على الخلافة الراشدة واستمرت تربك ساحات المسلمين الداخلية وتفتح جروحاً وحروباً وفتناً تهدد الجميع بالاندثار والضياع بعد أن تمكن العدو الخارجي من نفوذه إلى أوساط الساحة الإسلامية وأدرك نقطة الضعف ، فأوجد سلطات من أبناء جلدتنا بعد استعمار متوال كونهم أنفع في تنفيذ مخططاته .

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو لماذا سمحنا لأنفسنا بظهور هذه الإنقساماتوالتجزئات بل والتفرقة الطائفية والعرقية والطبقية والقومية على الرغم من وجود عقيدة التوحيد التي تصرخ فينا ليلاً نهاراً أن كلمة التوحيد تعني توحيد الكلمة؟ وإذا كنا الآن نعاني من تمزق وتتطاحن وبالذات الطائفية التي تفعل فعل الطاحون فلا بد من كسر طوق الجمود والتصدي للواقع المتخلف والوضع المزري إذ لايليق بنا كأمة موحدة أن تعيش واقع التجزئة والتشرذم وإنما يجب أن نغرس ضرورة الوحدة في أعماقنا كجزء من الثوابت الفكرية الدينية التي لانحيد عنها أبداً .[3] وأن الإنقساماتوالإنشقاقات التي تدق في الأمة الواحدة نتيجة الصراعات الدامية والإصرار على وجهة النظر تعصباً دون تفهم لوجهات النظر الأخرى أو احترامها على الأقل أدى إلى الإنغلاق والتحزب والوقوع في الفرقة ومن ثم الفتنة قال تعالى ((وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.)) آل عمران:١٠٥ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((لاتختلفوا فتختلف قلوبكم ، وما أختلفت أمة بعد نبيها إلا وظهر أهل باطلها

([1]) المنطلق العدد ٢ - ٢٠٠١م صـ ١٤٢ مرجع سابق

([2]) المرجع السابق

([3]) الطائفية سلاح العدو الأخير الخطير موسى الهادي دار المناهل ط١ ١٩٨٨م صـ٢٢، ٢٧ ،٤٦مرجع سابق

على أهل حقها))[1]. وجاء عن الأمام علي كرم الله وجهه قوله ((إن الشيطان يسنّي لكم طرقه ، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة وبالفرقة الفتنة فاصدفوا عن نزعاته ونفثاته))[2]

ما أحوج الأمة في الظروف الراهنة وفي مقدمة أولئك الدعاة لنحيي دور المسجد الذي يجمع ولا يفرق أن نجتمع على كلمة سواء بيننا آلا وهي أن نفكر وأن نطيل التفكير ، فهل نحن في (أزمة فكرية) تضرب فيها آراؤنا بعضها ببعض ؟ أم في هزيمة فكريةحلت بنا لوجود تخاذل منا في القيام بواجبنا ؟ أم نحن في (فراغ فكري)أتى من خوت أصحاب الذهن والقلب فينا ؟ أم في (عجز فكري) نجم عن ضعف أفهامنا أم عن نقص في معارفنا ؟إذا نحن تنادينا جهاراً إلى أن نفكر سوية ، فلأن ما نزل بنا هو على الحقيقة تيه عظيم في عالم الأفكار فنحن تائهون حائرون ، والتيه في الفكر كالتيه في الأرض ، إذا لا أهداف يعلمها التائه يقيناً حتى يتجه إليها ، ولا وسائل يملكها حقاً حتى توصله الى هذه الأهداف ؛ والتيه الفكري الذي أصابها ينطق به حال الشتات الذي يوجد في أهل الفكر بين أظهرنا ، وهذا الشتات ألوان شتى .

فما أشد حاجتنا إذن إلى أن نفكر معترضين على ما نحن فيه ، وإلى أن نطيل التفكير فيما ينبغي أن نكون عليه ، إذا لا مفر لنا من أن نسعى إلى الخروج من التيه الفكري الذي طال بنا أمده ، بدون أي مبرر يذكر ، وإلا هلكنا كما يهلك التائه في المفاور ، ولا خروج من هذا التيه إلا بالاهتداء إلى الأهداف الصالحة والوسائل النافذة .[3]فالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة هي أهم عوامل نجاح الداعية ، فلا بؤس ولا خشونة ، ولا سب ولا شتيمة ، وإنما الوفاء لقيم الإسلام وثوابته التي تدعو إلى الألفة والوحدة ، وعلى الداعية أن يمتلك روح المسجد ، فهي روح الجمع والاحتضان ، فالروح المسجدية تجمع ولا تفرق ، تستوعب المتعدد ولا تلغيه ، تحترم التنوع ولا تحاربه وجماع القول : فإن المشاكل والتوترات التي تعانيها بلاد العرب والمسلمين بلا استثناء على أكثر من صعيد ، بحاجة إلى سياق المعالجة والخروج من نفق هذه المشاكل ومتواليات هذه التوترات ، إلى منظومة ثقافية جديدة قوامها الحرية والتسامح والاعتراف بالآخر ، وصيانة حقوق الإنسان وتعميق أسس العيش المشترك .[4]

(خاتمة): بعد ما سبق عرضه عرضاً موجزاً، حيث إن الحديث عن دور المسجد في حياة الأمة يحتاج إلى مجلدات وليس لبحث متواضع ، فالمسجد المنارة الأولى التي تستضيء بها الأمة ، وهذا ما يستدعي خلاصة مااحتوى عليه البحث : -

---

([1]) سنن الترمذي رقم الحديث\٢٢٨.

([2])ميزان الحكمة جـ٢ – صـ ١٤٥٥. وانظر كتاب الأمة العدد ١٤٣ - ١٤٣٢هـ : لغة الخطاب الدعوي صـ٨٤،٨٥ .

([3])الكلمة السواء أن نفكر ونطيل التفكير : د. طه عبدالرحمن مجلة الكلمة العدد ٣٦ -١٤٢٣هـ صـ ٥ -٦

([4])مجلة الكلمة العدد ٥٤ -١٤٢٧ صـ ١٤٠

أولها : إن الدعوة إلى دين الإسلام في كل زمان ومكان هي مهمة المسلمين ، وهي التفسير الوحيد لصفة الخيرية التي أعطاهم الله إياها ، فان الكثير من شروط نهوض هذه الأمة بهذه المهمة لا تزال مفقودة ، ومنها الخطاب الدعوي تجاه الآخرين ، ومن دون شك فإن هناك عوامل قد أسهمت في الضعف الأسلوبي للخطاب الدعوي اليوم ، الذي تفاوت بين الجفوة والشدة ، وبين الترقيع والتلميع ، من تلك غياب الدعوة الرسالية التي تتناسب ومكانة المسجد في الإسلام ، واستبدالها بثقافة سطحية يتلقاها الداعية تتلون وفقاً لمتطلبات الجهة التي ينتمي إليها ، حتى صار الداعية آلية من آليات الوضع السياسي والاجتماعي وفقاً للتوظيف السياسي والرموز الحركي .

ثانياً : إن المسجد وما يمتلكه من قداسة عند المسلمين بحاجة إلى إعادة النظر في المناهج والأساليب التي تساهم في تشكيل وعي الدعاة وتكوينهم النفسي والفكري ذلك أن الغالب على تصرفات الدعاة وفقاً لقناعتهم أنهم يصادرون قيم الإسلام ويلوون عنق الحقيقة إنسجاماً مع أمزجتهم وأهوائهم وميولاتهم ، فالإسلام كله رحمة ومحبة وألفة ، ويتسع لكل تطورات الحياة ، فلا نضيقها بأمزجتنا وأهوائنا وميولاتنا الضيقة .

ثالثاً : إن واجب الداعية أن يمتلك روح المسجد التي هي روح الجمع والاحتضان ، فالروح المسجدية تجمع ولا تفرق ، تسعى لبناء مجتمع قاعدته : ((إنما المؤمنون إخوة))

لأن فطرة النفس الإنسانية والمجموع الإنساني المتساكن تميل إلى توطيد السلم الأهلي والتعايش الاجتماعي ، وهو ما تدور عليه الرسالة الإلهية .

رابعاً : إن أهم ما نحتاج إليه لكي يؤدي المسجد دوره الإيماني والمعرفي ، هو إصلاح حال علماء الأمة من التمزق والتشرذم منقطعي النظير ، واللذين للأسف الشديد بات الناس يرونهما من دون حجب أو ستر في هذه الفترة ، ومما ساعد حالة التشرذم هو البعد والانتماء الحزبي والمذهبي المقيتان ، بسبب أنه تسلل إلى أوساطهم من يريد الوقيعة من حملات وحملات مضادة وغيبة وبهتان ، وقطيعة كاملة عملت على تبديد الجهود التي يجب أن تتساند فاستنزفت طاقات ما كان أحوجنا إليها.

خامساً: وحاصل الكلام في الدعوة الإسلامية بمجملها والمسجد خاصة أنهما عمل تنويري وتحريري للإنسان جملة فإذا حصّل الداعية الخلق والصدق صار سبباً ورقياً ترثه الأمة وإذا حصل تمام العمل لما يقوله كان سبباً تحررياً استطاع أن تفضي دعوته إلى توحيد الصف الذي يقطع مؤامرات العدو على تنوع أساليبه ، ذلك أن الخطاب الدعوي له مكانته وأثره في نفوس الناس يكون مبدأ التسامح الذي يعتبر الفضيلة النادرة في الإسلام ويقود إلى التعايش والاستقرار الأمني والاجتماعي وتطوير أواصر وأسباب التعاون بين مختلف أبناء وشرائح المجتمع الذي هو من صميم القيم النبيلة ، والتي يساهم في إنتاجها قدرة المسجد الذي هو مصدر إشعاع لتنوير العقول ، وتحرير الأفكار .

سادساً : لابد للدعاة عبر منبر المسجد المبارك أن ينطلقوا من الكليات والقناعات والمقاصد التي ينطوي عليها ضمير الأمة ، وعليهم بناء منهج التفكير الشمولي الإسلامي المستقيم الصحيح ، واحسب أن الدعاة الصادقين لو تمهد لهم الطريق فإنهم يقدرون على استعادة كل القلوب الفارغة ، وملئها بالحق مرة أخرى ، فإن الإسلام كان ولا يزال أقرب الأديان الى مواءة العقل والقلب ، والى التجاوب مع أصالة التفكير وسلامة الضمير ، والبناء النفسي السوي الرشيد . والله الهادي إلى سواء السبيل

المراجع:

١) ابن ماجه \رقم الحديث \٣٣١٢

٢) أزمة العقل المسلم د. عبد الحميد أحمد سليمان الدار العالمية للكتاب الإسلامي ١٩٨١م

٣) اسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق الجامعة الاسلامية ماليزيا :د. بدا لحميد ابو سليمان. مجلة اسلامية المعرفة العدد ٢٦ -١٤٢٢هـ.

٤) الاشاعة بمنظور قراني للشيخ محمد علي الحرز صـ ١١٨ مجلة القران القران نور العدد الخامس .

٥) الأقليات وجدلية الوحدة والحرية : محمد محفوظ مجلة الكلمة العدد ٣٣|٢٠٠١مـ

٦) الألباني – صحيح الجامع – رقم \ ٢٩٦٠

٧) إلى الطليعة المؤمنة : محمد أمين زين الدين

٨) المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التأريخ :د.عبدالله قاسم الوشلي، مؤسسة الكتب لثقافية ط ١ - ١٩٩٠م

٩) ايسر التفاسير بتصرف : للجزائري.

١٠) البداية والنهاية ابن كثير جـ ١٠، دار الكتب العلمية بيروت طبعة ٣ -١٩٨٧م.

١١) تأملات فلسفية في واقع الدعوة الاسلامية المنطلق مجلة فكرية العدد ٢ـ٢٠٠١م.

١٢) التحرير والتنوير ج٢٥ - وانظر التفسير الوسيط : الزحيلي التفسير الواضح

١٣) التربية الإسلامية د.علي القاعدي .بدون طبعة

١٤) تربية الأولاد في الإسلام / عبدالله ناصر علوان دار السلام مصر ط٣١ - ١٩٩٧مـ

١٥) تيسر العلام شرح عمدة الأحكام : عبد الله عبدالرحمن آل بسام جـ١ - تحقيق محمد صبحي الحلاق مكتبة الإرشاد ط١٩٩٤مـ .

١٦) وانظر أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء :د. مصطفى الخن مؤسسة الرسالة ط ٣ – ١٩٨٣مـ

١٧) ثقوب في الوعي الاجتماعي تحديات في عالم متغير:محمد محفوظ مجلة الكلمة العدد ٤٠\ ١٤٢٤هـ

١٨) جدلية العقل والوحي : حسين شحادة مجلة البصائرالعدد٢٥ -١٤٢٢هـ

١٩) حياة محمد : هيكل. مكتبة النهضة المصرية ط١٥ - ١٩٦٨مـ

٢٠) دراسات في السيرة النبوية : د. حسين مؤنس .

٢١) الدولة والسلطة في الإسلام : د.معروف الدواليبي وانظر الفردية :
٢٢) كيف نتعامل مع القرآن الشيخ محمد الغزالي وما بعدها .دار القلم دمشق ط١ -٢٠٠٠م
٢٣) روح المعاني.
٢٤) زاد المبلغين موسوعة فكرية تعين الخطباء والموجهين محسن عطوي دار التعارف بيروت ١٤٠٩هـ .
٢٥) سنن أبي داود \رقم الحديث\ ٤١٧٢
٢٦) سنن الترمذي رقم الحديث\٢٢٨.
٢٧) صحيح ابن حبان\ رقم الحديث\ ٣٦١
٢٨) صحيح مسلم \رقم\ ٢٥٢٦
٢٩) العبادة في الإسلام د. يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة ط١١ - ١٩٨٣م.
٣٠) الرحيق المختوم – صفي الرحمن المباركفوري – دار الوفاء والصبر – ط١١ -٢٠٠٠م
٣١) العلم الشامخ صالح المقبلي المكتبة اليمنية الطبعة الثانية ١٩٨٥م
٣٢) العولمة والوحدة الوطنية : أفكار الزمن قادم : محمد محفوظ مجلة الكلمة العدد ٣٦\٢٠٠٢.
٣٣) الغزو الثقافي يمتد في فراغنا : د. محمد الغزالي دار الشروق ط٢ -٢٠٠٥م
٣٤) الغزو الثقافي يمتد في فراغنا د. محمد الغزالي دار الشروق ط٢ -٢٠٠٥ م
٣٥) الفتاوى :ابن تيمية.
٣٦) الفردية : زيد بن علي الوزير. مركز التراث والبحوث اليمني ط١ ٢٠٠٠م
٣٧) في ظلال القران : سيد قطب .
٣٨) كتاب الأمة : دعوة الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد العدد ٧٦ -١٤٢١هـ.
٣٩) كتاب الأمة العدد ١٢٢ ـ ١٤٢٨هـ.
٤٠) معالم الثقافة الإسلامية : د. عبدالكريم عثمان . مؤسسة الرسالة - ط١١ - ١٩٨٤م.
٤١) الكلمة السواء أن نفكر ونطيل التفكير : د. طه عبدالرحمن مجلة الكلمة العدد ٣٦ -١٤٢٣هـ
٤٢) كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الإستبداد. رياض الريس للكتب والنشر ط ٢. ٢٠٠٢م
٤٣) لسان العرب : ابن منظور الجزء١٤ دار صادر بيروت ط ٢٠٠٥م
٤٤) مجلة اسلامية المعرفة العدد ٤٤ – ٢٠٠٦م.
٤٥) مجلة الكلمة العدد (٣٠)٥٤ - ١٤٢٧هـ.
٤٦) مجلة الكلمة العدد ٥٤ ـ١٤٢٧.
٤٧) المدخل الى علم الدعوة : محمد ابو الفتح البياتوني مؤسسة الرسالة بيروت ط٣ ١٩٩.
٤٨) الطائفية آخر ورقة للعالين في الأرض ابراهيم بن علي الوزير دار المناهل بيروت ط ٢ – ٢٠٠٦م .
٤٩) الصحوة الإسلامية بين اختلاف المشروع والتفرق المذموم د. يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة ط٢ ١٩٩٢م.

٥٠) مسند أحمد \٨٦\١
٥١) مفاتيح الغيث.
٥٢) مفاهيم ينبغي أن تصحح محمد قطب دار الشروق ط ٦ - ١٩٩١م
٥٣) مفهوم التسامح وقضايا العيش المشترك : محمد محفوظ مجلة الكلمة العدد – ٥٤ – ١٤٢٧هـ.
٥٤) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم محمد العبده – طارق عبد الحليم - دار الأرقم ط ٢ - ١٩٨٦م.
٥٥) مقدمة كتاب الأمة العدد ١٤٣\ ١٤٣٢هـ د. عمر عبد حسنة
٥٦) مقدمة كتاب الأمة العدد ٧٦ – ١٤٢١هـ عمر عبيد حسنة هذا العالم والباحث والمحقق الجليل الذي تجد طرحه الإيماني الذي يتحسس حال الأمة الأليم في كل ما يكتبه في مقدمة كتاب الأمة والذي أتمنى أن الله يمكنني بأن أتولى جمع تلك المقدمات المفيدة في كتاب واحد بعد استئذانه إن شاء الله .
٥٧) مقدمة كتاب الأمة العدد١١١ - ١٤٢٧هوما بعدها منهج السياق في فهم النص د. عمر عبد حسنة
٥٨) الموافقات للشاطبي ٢\ ٦ دار المعرفة بيروت .
٥٩) ميزان الحكمة.
٦٠) نظام الإرث والوصايا في الإسلام : أ.د . أحمد فرج حسين ود. محمد كمال الدين – منشورات الحلبي الحقوقية بيروت ط ٢٠٠٢م
٦١) نهج البلاغة شرحه الأمام الأكبر محمد عبده خرج مصادره الشيخ حسين الأعلمي الطبعة الأولى ١٩٩٣.
٦٢) الهيثمي\ مجمع الزوائد \١١٨\١